صلاح البرية

شرح حديث النية

تأليف

د/ محمد يسري إبراهيم

دار اليسر

صلاح البرية
شرح حديث النية

صلاح البرية
شرح حديث النية

تأليف

د/ محمد يسري إبراهيم

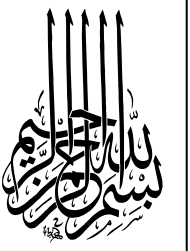

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

الطبعة الأولى ١٤٣٢هـ - ٢٠١١ م

دار الكتب المصرية

فهرسة أثناء النشر إعداد إدارة الشئون الفنية

إبراهيم، محمد يسري.

صلاح البرية: شرح حديث النية

تأليف: محمد يسري إبراهيم.

القاهرة، دار اليسر ٢٠١٠م.

١٤٤ص، ١٤سم × ٢٠سم.

١- الحديث - شرح.

أ- العنوان

٢٣٧.٣

رقم الإيداع

٢٠١٠/٢١٢٦٦

٢٠ ش عبد العزيز عيسى، المنطقة التاسعة الحي الثامن ، مدينة نصر، القاهرة.

تليفون: ٠٠٢ ٠٢ ٢٤٧٠٩٢٦٩

فاكس: ٠٠٢ ٠٢ ٢٤٧١٤٨٠١

محمول: ٠٠٢ ٠١٦٢٢٧٦٢٠٨

Email: alyousr@gmail.com

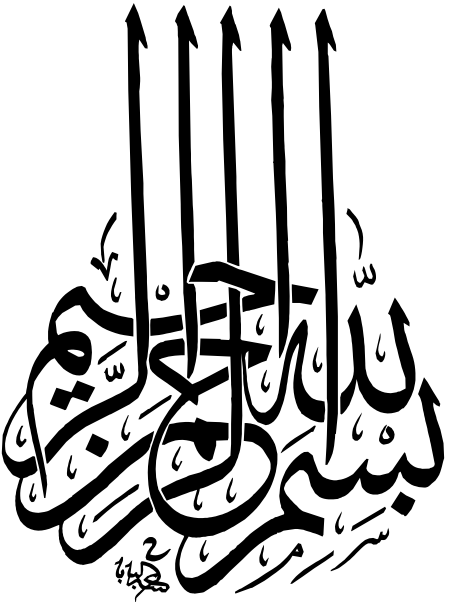
بسم الله الرحمن الرحيم

مُقَدِّمَةٌ

الحمد لله المعبود بالإحسان، المقصود بالقلب والجَنان، وصلى الله وسلم وبارك على المحمود من بني عدنان، وعلى آله وأصحابه معادن التقوى والإيمان.

أما بعد:

فإن لنوايا القلوب من الإسلام منزلة عظيمة، فالقربات بأسرها مبنية على النيات، وباستحضارها تنقلب العادات إلى طاعات، ويتضاعف ثواب الحسنات، وَرُبَّ عَمَلٍ صغير تعظمه النيات، ورب عمل كبير تصغره النيات!

ذلك أن صلاح العمل بصلاح النية، ومن خلصت نيته كفاه الله ما بينه وبين الناس، ومن تزيَّن للناس بغير ما يعلم الله من قلبه شانه الله، وإنما العون من الله على قدر النية فإذا تمت نية العبد تم عون الله له، ومن قصرت نيته قصر عون الله بقدر ذلك.

ومن أعظم ما عني العلماء بدرسه في هذا الباب حديث أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وهو الحديث الذي

بلغت شهرته الآفاق، فتصدَّر المصنفات، وتحلت به المجالس، وتشنفت به المسامع في كل زمان ومكان، ولعظيم منزلته اعتنى العلماء بشرحه وإفراد المصنفات في بيان مكنونات أسراره، ودقيق كنوزه وأحكامه.

وفي هذه الرسالة شرح لحديث النية، يتناول فقهها وآدابها، وما ينبغي استحضاره عند أداء العبادات، وما يطلب التحرز عنه من الآفات.

والله تعالى نسأل أن يحسن مقصدنا في أعمالنا، وأن يرزقنا عاجل البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة.

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين

وكتبه

د. محمد سري إبراهيم

القاهرة في ١٥-١٠-٢٠١٠م

٧-١١-١٤٣١هـ

ٱلْحَدِيث

عَن أمير المؤْمنينَ أَبِي حَفْصٍ عُمرَ بن الخطَّابِ رضي الله عنه قالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقولُ: «إنما الأعمَالُ بالنيَّات، وإنما لكُلّ امرئ ما نوى، فَمَن كَانت هِجرتُهُ إلى الله ورسُوله، فهجرتُه إلى الله ورسُوله. ومَن كانت هِجرتُهُ لدُنيا يصيبُهَا أو امْرأة ينكحُها، فهجرتُهُ إلى ما هَاجَرَ إليه».

طرق الحديث وألفاظه

أخرج هذا الحديث جماعة من أصحاب الصحاح والسنن والمسانيد[1].

» و للحديث طرق كثيرة، كلها ضعيفة إلا من طريق عمر بن الخطاب رضي الله عنه، والحديث تفرد بروايته يحيى بن سعيد الأنصاري، عن محمد بن إبراهيم التيمي، عن علقمة بن وقاص الليثي -وكلهم من التابعين- عن عمر بن الخطاب، ورواه عن الأنصاري الخلق الكثير، والجَمُّ الغفير.

---

(١) أخرجه البخاري (١، ٥٤، ٢٥٢٩، ٣٨٩٨، ٥٠٧٠، ٦٦٨٩، ٦٩٥٣)، ومسلم (١٩٠٧).
وأخرجه أيضًا: الحميدي (٢٨)، وابن المبارك في «الزهد» (٨٨)، ومالك في «الموطأ» في رواية محمد بن الحسن (٩٨٣)، وأحمد (١٦٩)، وأبو داود (٢٢٠١)، والترمذي (١٦٤٧)، والنسائي في «المجتبى» (٧٥) (٣٤٣٧) (٣٧٩٤) و«الكبرى» (٧٨، ٤٧٣٦، ٥٦٣٠)، وابن ماجه (٤٢٢٧)، والطيالسي في مسنده (٩/١ رقم ٣٧)، وابن خزيمة (١٤٢، ٤٥٥)، وابن حبان (٣٨٨، ٣٨٩، ٤٨٦٨)، وابن منده في «الإيمان» (٣٦٣/١ رقم ٢٠١)، وابن الجارود (٦٤)، والطحاوي في «شرح معاني الآثار» (٩٦/٣)، والدارقطني في «السنن» (٥٠/١) و«العلل» (١٩٤/٢)، والقضاعي في «مسند الشهاب» (١، ٢، ١١٧١، ١١٧٢)، والبيهقي في «الكبرى» (١٨١، ٩٧٢، ١٣٢١) و«الصغرى» (١) و«الشعب» (٦٨٣٧)، والطبراني في «الأوسط» (٤٠، ٧٠٥٠)، والبزار (٢٥٧)، وأبو نعيم في «الحلية» (٤٢/٨) و«أخبار أصبهان» (١١٥/٢)، وأبو عوانة (٧٤٣٨).

» ولقد رواه أكثر من مائتي راوٍ، وقيل سبعمائة راوٍ، من أعيانهم: مالك[١]، والثوري[٢]، والأوزاعي، وابن المبارك[٣]، والليث بن سعد[٤]، وحماد بن زيد[٥]، وشعبة، وابن عيينة[٦]..، وغيرهم.

وأخرجه البخاري في «صحيحه» سبع مرات مغايرًا في شيخه، وشيخ شيخه، وفي ألفاظه.

» وقد اتفق العلماء على صحَّتِه، وتلقِّيهِ بالقبولِ، وهو حديثُ آحادٍ لم يبلُغ مبلغَ التواتر.

وللحديث ألفاظ مختلفة منها:

١- «إنما الأعمال بالنية، وإنما لامرئ ما نوى»[٧].

٢- «الأعمال بالنية»[٨].

٣- «أو امرأة يتزوجها»[٩] بدلاً من «ينكحها»[١].

---

(١) البخاري (٥٤، ٤٧٨٣)، ومسلم (١٠٩٧-١٥٥).
(٢) البخاري (٢٥٢٩)، ومسلم (١٠٩٧-١٥٥) .
(٣) أخرجه النسائي (٧٥)، وفي «الكبري» (٧٨).
(٤) أخرجه ابن ماجه (٤٢٢٧).
(٥) البخاري (٣٨٩٨، ٦٩٥٣)، والنسائي في «الكبري» (٧٨) وابن خزيمة (١٤٢، ٤٥٥) .
(٦) البخاري (١)، ومسلم (١٠٩٧-١٥٥) .
(٧) البخاري (٦٦٨٩)، ومسلم (١٩٠٦) .
(٨) البخاري (٥٤، ٢٥٢٩، ٣٨٩٨).
(٩) البخاري (٥٤)، ومسلم (١٩٠٧).

» فالحديث من الرواية المذكورة صحيح غريب، والغرابة بالنسبة إلى أوله، حيث لم يروه عن عمر سوى علقمة، ولم يروه عن علقمة سوى محمد بن إبراهيم، ولم يروه عن محمد سوى يحي بن سعيد الأنصاري، وعنه انتشر واشتهر؛ فهو مشهور بالنسبة إلى آخره، غريب بالنسبة إلى أوله[٢].

ومن لطائف هذا الإسناد ما يلي:

١- تطرُّق الغرابة والإفراد في طبقاته الأربعة الأُوَل.

٢- روايةُ ثلاثةٍ من التابعين بعضهم عن بعض.

٣- وفيه رجالٌ مكيون ومدنيون، فقدَّم البخاري رحمه الله المكّيين، وأخَّر المدنيين، وكأنَّ البخاري راعى تقديم قريش على غيرها، وراعى تقديم مكة؛ لفضلها على المدينة، أُخِذَ ذلك من بدء البخاري أول إسنادٍ في كتابه بروايته عن شيخه «عبد الله بن الزبير الحميدي» المكي[٣].

=

(١) البخاري (١).

(٢) «كشف الخفاء» (١٠/١)، و«المنهل الروي» (٥٦/١).

(٣) انظر «فتح الباري» (٣٠/١-٣١) ط. دار طيبة.

صحابي الحديث

أولاً: نسبه ﷺ[1]:

» هو عمر بن الخطاب بن نُفَيل بن عبد العزّى بن رِياح بن عبد الله بن قُرْط بن رَزَاح بن عَدي بن كعب بن لؤي بن غالب القرشي العدوي، يجتمع نسبه مع نسب النبي ﷺ في كعب بن لؤي.

» وأمه هي: حَنْتمة بنت هاشم بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب، وقيل: حنتمة بنت هشام، والأول أصحّ[2].

» ويكنى بأبي حفص.

وأما لقبه فهو: الفاروق، رضي الله عنه وأرضاه.

ثانيًا: نشأته وإسلامه ﷺ:

» وُلِدَ بعد عام الفيل بثلاث عشرة سنة، وأسلم سنة ست من النبوة، وقيل: سنة خمس من النبوة، بعد أربعين رجلاً وعشر نسوة،

---

(١) انظر: «تاريخ الخلفاء» (١٠٨/١)، و«البداية والنهاية» (١٣٣/٧)، و«الإصابة» (٥٨٨/٤)، و«الكامل في التاريخ» (٤٤٩/٢)، و «أسد الغابة» (٦٤١/٣ رقم ٣٨٢٤).

(٢) قال في «الاستيعاب» (٣٥٤/١): «ومن قال بنت هشام فقد أخطأ وليست هي أخت أبي جهل إنما هي ابنة عمهما، فهاشم وهشام ابنا المغيرة أخوان».

وقيل: بعد خمسة وأربعين رجلاً، وإحدى عشرة امرأة.

» وكان إسلامه ببركة دعاء المصطفى ﷺ: «**اللَّهُمَّ أعز الإسلام بأحبِّ الرجلين إليك: بعمر بن الخطاب، أو بعمرو بن هشام**»[1] يعني: أبا جهل، فكان عمر أحبهما إلى الله تعالى وإلى رسوله ﷺ.

» ولإسلامه رضي الله عنه قصة مشهورة، حيث خرج يومًا متوشحًا سيفه يريد رسول الله ﷺ فلقيه نعيم بن عبد الله فقال: أين تريد يا عمر؟ فقال: أريد محمدًا، هذا الصابئ الذي فرَّق أمر قريش وسفَّه أحلامها، وعاب دينها، وسب آلهتها، فأقتله؛ فقال له نعيم: والله لقد غرتك نفسك يا عمر، أترى بني عبد مناف

---

(١) أخرجه ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (٥٦٩٦)، وأحمد (٥٦٩٦)، وفي «الفضائل» (٣١٢) والترمذي (٣٦٨١)، وعبد بن حميد في «المنتخب» (٧٥٩) والطبراني في «الأوسط» (٤٧٥٢)، والبيهقي في «الدلائل» (٢/٢١٥-٢١٦) وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٥/٣٦١) وابن حبان (٦٨٨١)من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما. وقال الترمذي: «حديث حسن صحيح غريب»، ورواه الحاكم (٤٤٨٦) عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، ورواه البزار في «مسنده» (٢١١٩)، وابن سعد (٣/٢٦٧) عن سعيد بن المسيب مرسلًا و(٣/٢٦٩) مرسلاً عن معمر والزهري، والحديث في صحيح سنن الترمذي للألباني ٢٩٠٧ (٣/٢٠٤). وقال في السيرة النبوية الصحيحة: صحيح لغيره. (السيرة النبوية الصحيحة د.أكرم ضياء العمري ١/١٧٨).

وقد ورد الحديث بذكر عمر خاصة: من حديث عائشة عند الحاكم (٣/٨٣) ومن طريقه البيهقي في «السنن» (٦/٣٧٠) بلفظ: «اللَّهُمَّ أعز الإسلام بعمر بن الخطاب خاصةً» وإسناده صحيح. كما في تخريج «المسند» (٩/٥٠٨) ط. الرسالة.

تاركيك تمشي على الأرض وقد قتلت محمدًا؟ أفلا ترجع إلى أهل بيتك فتقيم أمرهم. فقال عمر: وأيّ أهل بيتي؟، قال: خَتَنُكَ[١] وابن عمك سعيد بن زيد، وأختك فاطمة؛ فقد والله أسلما وتابعا محمدًا ﷺ على دينه، فعليك بهما.

فمشى عمر مغضبًا حتى أتاهما، وعندهما خباب بن الأرت معه صحيفة فيها ﴿طه﴾ يُقرئهما إياها، فلما سمعوا حِسَّ عمر توارى خباب في البيت، فلما دخل عليهما عمر قال: ما هذه الهينمة[٢] التي سمعتها عندكم؟ قالا له: ما سمعت شيئًا. قال: بلى والله لقد أُخبرت أنكما تابعتما محمدًا على دينه.

ثم وثب عمر على ختنه فوطئه وطئًا شديدًا فجاءت أخته فدفعته عن زوجها، فضرب رأسها فأدماه، فقالت وهي غضبى: كان ذلك على رغم أنفك، أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، قد أسلمنا وآمنّا بالله ورسوله ﷺ فاصنع ما بدا لك.

فلما رأى عمر ما بأخته من الدم ندم على ما صنع، وقال: أعطوني هذا الكتاب الذي عندكم فأقرؤه -وكان عمر يقرأ

---

(١) الخَتَن: الصِّهر، وكل مَن كان من قِبَلِ المرأة كأبيها وأخيها، وكذلك زوج البنت، أو زوج الأخت، وهو المقصود هنا. انظر: لسان العرب (١٣٨/١٣)، مختار الصحاح (٧١/١)، والمعجم الوسيط (٢٤١/١).

(٢) الهينمة: كلام خفي لا يُفهم. انظر: لسان العرب (٦٢٤/١٢)، والقاموس المحيط (١٥١٢/١).

الكتب- فقالت له أخته: إنك رجس و﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ﴾ ﴿يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ﴾ [الواقعة:٧٩] فقم فاغتسل أو توضأ، فقام ﴿ٱلْمُطَهَّرُونَ﴾ [الواقعة:٧٩] فقم فاغتسل أو توضأ، فقام فتوضأ، فاغتسل أو توضأ، فقام فتوضأ، ثم أخذ الكتاب فقرأ: ﴿طه﴾ [طه:١] حتى انتهى إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِى وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِى﴾ [طه:١٤] ﴿أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِى وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِى﴾ [طه:١٤] فقال: ما أحسن ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِى﴾ [طه:١٤] فقال: ما أحسن هذا الكلام ﴿لِذِكْرِى﴾ [طه:١٤] فقال: ما أحسن هذا الكلام وأكرمه! فلما وأكرمه! فلما سمع خباب قول عمر خرج من البيت فقال: أبشر يا عمر فإني أرجو أن تكون دعوة رسول الله ﷺ لك: «اللَّهُمَّ أعز الإسلام بعمر بن الخطاب أو بعمرو بن هشام»[1] قال: وأين رسول الله؟ قال: في الدار التي أسفل الصفا، فانطلق عمر فأتى الدار، وعلى الباب حمزة وطلحة وناس من أصحاب رسول الله ﷺ فلما رأى القوم عمر وَجِلوا منه، فقال حمزة: فأذن له، فإن كان يريد خيرًا بذلناه، وإن كان يريد شرًا قتلناه بسيفه. فقال رسول الله ﷺ: «إيذن له» حتى أتى عمر فأخذ بمجامع ثوبه

(١) تقدم تخريجه.

وحمائل السيف، وقال: «ما أنت بِمُنْتَهٍ يا عمر حتى ينـزل الله بك من الخزي والنكال ما أنزل بالوليد بن المغيرة، اللّٰهُمَّ هذا عمر بن الخطاب اللّٰهُمَّ أعز الإسلام بعمر بن الخطاب». فقال عمر: أشهد أنك رسول الله؛ أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، فكبر أهل الدار تكبيرة سمعها أهل المسجد(١).

ثم قال: يا رسول الله ألسنا على الحق، وإن متنا وإن حيينا؟ قال: «بلى والذي نفسي بيده إنكم على الحق إن متّم وإن حييتم» قال: ففيم الاختفاء؟ والذي بعثك بالحق لنخرجن، فخرجوا في صفين، حمزة في أحدهما، وعمر في الآخر؛ حتى دخلوا المسجد، فنظرت قريش إلى حمزة وعمر، فأصابتهم كآبة لم يصبهم مثلها.

ورغم شهرة قصة إسلامه ﷺ بهذا السياق المطوَّل بَيْدَ أنها

---

(١) أخرجه ابن سعد في «الطبقات» (٢٦٩/٣)، وفي سنده: قاسم بن عثمان البصري، قال الحافظ في «لسان الميزان» (٤٦٣/٤) في ترجمته: قال البخاري: له أحاديث لا يتابع عليها. قلت: حدث عنه إسحاق الأزرق بمتن محفوظ وبقصة إسلام عمر وهي منكرة جدًا. والحاكم (٦٨٩٧)، والضياء في «المختارة» (٢٥٧٣) من حديث أنس بن مالك ﷺ. وانظر: «السيرة النبوية» لابن هشام (٣٥٣/١ وما بعدها)، و«حلية الأولياء» (٣٩/١-٤٠)، وفي سند «الحلية»: يحيى بن يعلى الأسلمي ضعيف شيعي، وعبد الله بن المؤمل ضعيف الحديث كما في «التقريب». و«صفة الصفوة» (٢٧٣/١).

لا تصح من حيث اللفظ والإسناد[١]، والثابت في لفظها مختصرٌ من هذا السياق بنحو معناه، وهو ما أخرجه البخاري من حديث سعيد بن زيد «قال: والله لقد رأيتني وإن عمر لموثقي على الإسلام قبل أن يُسلم عمر..»[٢].

وذكره البخاري[٣] من حديث ابن عمر رضي الله عنه قال: «لما أسلم عمر اجتمع الناس عند داره وقالوا: صبأ عمر، وأنا غلام فوق ظهر بيتي، فجاء رجلٌ عليه قباء من ديباج فقال: قد صبأ عمر فما ذاك؟ فأنا له جار، قال: فرأيت الناسَ تصدَّعوا عنه، فقلت: من هذا؟ قالوا: العاص بن وائل».

ورواه ابن إسحاق[٤] حدثنا نافع عن ابن عمر بسياقٍ أطول من هذا بنحو معناه. وهذه أسانيد صحيحة وإن كانت مختصرة اللفظ.

---

(١) قال الحافظ في «الإصابة» (٢١٧/٧): «وقال أبو عمر، خبرها في إسلام عمر خبر عجيب» يُنظر رسالة: «فصل الخطاب في قصة إسلام عمر بن الخطاب» (ط: الإيمان بالمنصورة).

(٢) صحيح البخاري (٣٨٦٢، ٣٨٦٧، ٦٩٤٢).

(٣) صحيح البخاري (٣٨٦٥) ط. البغا.

(٤) وهو في القسم المطبوع من «سيرة ابن إسحاق» (ص١٦٤) وأورده عنه ابن هشام في «سيرته» (٣٧٣/١-٣٧٤) واخرجه عبد الله بن أحمد في زياداته على «فضائل الصحابة» (٣٧٢) وأخرجه ابن حبان (٦٨٧٩)، والضياء في «المختارة» (٣٣٢/١).

ورُوِيَ أنه لما أسلم نزل جبريل عليه السلام، وقال: يا محمد قد استبشر أهل السماء بإسلام عمر، وقال المشركون: قد انتصف القوم اليوم منا، وأنزل الله تعالى:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسۡبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الأنفال:٦٤].(١)

﴿حَسۡبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الأنفال:٦٤].(١)

﴿ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الأنفال:٦٤].(١)

﴿ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الأنفال:٦٤].(١)

قال ابن مسعود رضي الله عنه: «ما زلنا أعزة منذ أسلم عمر».(٢)

وقال: «كان إسلامه عزًّا، وهجرته نصرًا، وإمارته رحمة».(٣)

ثالثا: أعماله ومناقبه رضي الله عنه:

مناقب عمر رضي الله عنه عظيمة، وأشهر من أن تُذكر، وأعظم من أن تستوعب في مصنَّف، وقد أفرد البخاري بابًا من «صحيحه»

---

(١) أخرجه أبو جعفر بن أبي شيبة في «تاريخه» كما في: فتح الباري (٤٨/٧)، وابن ماجه (١٠٣) وقال في «الزوائد»: إسناده ضعيف. وابن حبان (٦٨٨٣) من حديث ابن عباس. وإسناده ضعيف. كما في «التخريج» للشيخ شعيب (٣٠٧/١٥) والواحدي في «أسباب النـزول» (١٩٦) وزاد الحافظ نسبته للبزار في «الفتح» (٣٨٣/٨).

(٢) أخرجه البخاري (٣٦٨٤، ٣٨٦٣) عن ابن مسعود رضي الله عنه.

(٣) أخرجه الطبراني (٨٨٠٦، ٨٨٢٠) وابن سعد في «الطبقات الكبرى» (٢٧٠/٣).

(٣٧٢/٨) لمناقبه فقال: ٦ باب مناقب عمر بن الخطاب أبي حفص القرشي العدوي رضي الله عنه، وهذا غيض من فيض فضائله رضي الله عنه:

فهو ثاني العشرة المبشرين بالجنة بعد الصديق رضي الله عنه [١].

لقَّبَه النبي ﷺ بالفاروق[٢]؛ لأنه كان فرقانًا بين الحق والباطل.

وشهد الوقائع جميعها مع النبي ﷺ، وهو أحد كبار علماء الصحابة، وأول من اتخذ بيت المال، وأول من أرّخ التاريخ الهجري[٣]، وأول من دوَّن الدواوين، وله الفتوحات العظيمة، حيث فتح الله في عهده: مصر، والشام، والقدس، والعراق، وباقي الجزيرة، وله السيرة العادلة المحمودة.

ومن فضائله قول رسول الله ﷺ: «**إن يكن في أمتي**

---

(١) ورد ذلك عند أحمد (١٦٣١، ١٦٣٧)، وفي «الفضائل» (٨٧) والترمذي (٣٧٤٨)، وأبي داود (٤٦٤٨،٤٦٤٩)، والنسائي في «الكبرى» (٨١٥٦، ٨٢١٠، ٨٢٠٤) وأبو يعلى (٩٧١)، وابن ماجه (١٣٣) وابن أبي عاصم في «السنة» (١٤٢٩، ١٤٣٠، ١٤٣١، ١٤٣٣، ١٤٣٥، ١٤٣٦) من حديث سعيد بن زيد رضي الله عنه، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣٩٠٥).

(٢) أخرجه ابن سعد في «الطبقات» (٢٧٠/٣)عن عائشة رضي الله عنها عن الواقدي وهو متروك وأبو جعفر بن أبي شيبة في «تاريخه»، كما في: فتح الباري (٤٤/٧) عن ابن عباس رضي الله عنهما. وأخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٤٠/١)، عن ابن عباس مطولًا وفي إسناده إسحاق بن أبي فروة قال الحافظ: متروك. ورواه ابن سعد أيضًا في «الطبقات» (٢٧٠/٣) عن أيوب بن موسى مرسلاً.

(٣) انظر: «الأوائل» (٤١/١)، للحسن العسكري.

مُحَدَّثون يكن عمر»[١].

كما أن له الكرامات الكثيرة المشهورة، ومن ذلك:

» **قصة سارية**: فعن ابن عمر رضي الله عنهما: «أن عمر بن الخطاب بعث جيشًا وأمَّر عليهم رجلاً يدعى سارية، قال: فبينا عمر يخطب قال: فجعل يصيح وهو على المنبر: يا سارية الجبلَ، يا سارية الجبلَ، قال فقدم رسول الجيش، فسأله، فقال: يا أمير المؤمنين لقينا عدونا فهزمونا، وإن الصائح ليصيح: يا سارية الجبلَ، يا سارية الجبلَ، فشددنا ظهورنا بالجبل فهزمهم الله، فقيل لعمر: إنك كنت تصيح بذلك»[٢].

» **ومنها: قصة زلزلة الأرض**، حيث: «زلزلت المدينة على عهد عمر حتى اصطكت السرر، فقام فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: ما أسرع ما أحدثتم، والله لئن عادت لأخرجن من بين

---

(١) أخرجه البخاري (٣٤٦٩، ٣٦٨٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه بنحوه، وأخرجه مسلم (٢٣٩٨) من حديث عائشة رضي الله عنها بمعناه.

(٢) أخرجه اللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» (ح٢٥٣٧)، وذكره الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» (١٣١/٧)، وقال: «وهذا إسناد جيد حسن» وأشار إلى هذه الطريق الحافظ في «الإصابة» (٦/٣)، وقال: «وهو إسناد حسن»، والبيهقي في «الاعتقاد» (٣١٤) من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما. وحسَّنَ ابنُ حجرٍ في «الإصابة» بعض أسانيده (٦/٣).

أظهركم»[1]، فلم تتزلزل بعد ذلك.

» **ومنها كتابه إلى نيل مصر**: وقصة هذا الكتاب كما ذكرها السيوطي في تاريخ الخلفاء: أنه لما فتحت مصر أتى أهلها عمرو بن العاص، فقالوا: أيها الأمير إن لنيلنا هذا سنة لا يجري إلا بها، قال: وما ذاك؟ قالوا: إذا كان إحدى عشرة ليلة تخلو من هذا الشهر - يعني الشهر الذي كان يحدثه فيها - عمدنا إلى جارية بكر بين أبويها فأرضينا أبويها وجعلنا عليها من الثياب والحلي أفضل ما يكون، ثم ألقيناها في هذا النيل. فقال لهم عمرو: إن هذا لا يكون أبدًا في الإسلام، وإن الإسلام يهدم ما كان قبله، فأقاموا والنيل لا يجري قليلاً ولا كثيرًا حتى هموا بالجلاء، فلما رأى ذلك عمرو كتب إلى عمر بن الخطاب بذلك. فكتب إلى عمرو: أن قد أصبت بالذي قلت، وإن الإسلام يهدم ما كان قبله، وبعث بطاقة في داخل كتابه وكتب إلى عمرو: إني قد بعثت إليك ببطاقة في داخل كتابي فألقها في النيل، فلما قدم كتاب عمر إلى عمرو بن العاص أخذ البطاقة ففتحها فإذا فيها: من عبد الله عمر بن الخطاب أمير المؤمنين

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة (٨٤٢٠) وقال محققه: إسناده لا بأس به، ونعيم بن حماد في «الفتن» (١٧٣١)، والبيهقي في «الكبرى»، (٦١٧٠)، وعلَّقه ابن عبد البر في «التمهيد» (٣١٨/٣).

إلى نيل مصر، أما بعد فإن كنت تجري من قِبَلِكَ فلا تجر، وإن كان الله يجريك فأسأل الله الواحد القهار أن يجريك، فألقى البطاقة في النيل، فأصبحوا وقد أجراه الله تعالى[1].

» **ومنها ما رواه نافع عن ابن عمر**: قال: قال عمر بن الخطاب لرجل: ما اسمك؟ قال: جمرة، قال: ابن من؟ قال: ابن شهاب، قال: ممن؟ قال: من الحرقة، قال: أين مسكنك؟ قال: الحرة، قال: بأيها؟ قال: بذات لظى، فقال عمر: أدرك أهلك فقد احترقوا، فرجع الرجل فوجد أهله قد احترقوا[2].

وله الموافقات العجيبة لآي التنـزيل، ومن ذلك:

» **موقفه من أسرى بدر**: حيث قال عمر رضي الله عنه: لما كان يوم

---

(١) أخرجه ابن عبد الحكم في «فتوح مصر» (٣٥٣/٢) من طريق ابن لهيعة وذكره ابن كثير في «البداية والنهاية» (٩٧/١٠) ط. هجر، وابن شبة في «تاريخ المدينة النبوية» (٧٥٤/٢)، وذكرها السيوطي في تاريخ الخلفاء في سيرة عمر رضي الله عنه (١١٣/١).

(٢) رواه مالك في «الموطأ» (١٨٢٠) ط. دار الفكر، عن يحيى بن سعيد أن عمر بن الخطاب، وسنده معضل، وأخرجه عبد الرزاق في «المصنف» (١٩٨٦٤) عن معمر عن رجل عن ابن المسيب أن رجلًا أتى عمر فذكره وسنده منقطع وفيه راوٍ مجهول.
وأما طريق نافع عن ابن عمر فعند أبي القاسم بن بشران في «فوائده»، ذكره الحافظ في «الإصابة» (٣٩٤/١).

بدر -فذكر الحديث بطوله- قال ابن عباس: فلمَّا أسروا الأسارى قال رسول الله ﷺ لأبي بكر وعمر: «**ما ترون في هؤلاء الأسارى؟**» فقال أبو بكر: يا نبيَّ الله، هم بنو العم والعشيرة، أرى أن تأخذ منهم فدية، فتكون لنا قوة على الكفار، فعسى الله أن يهديهم للإسلام، فقال رسول الله ﷺ: «**ما ترى يا ابن الخطاب؟**» قلت: لا والله يا رسول الله، ما أرى الذي رأى أبو بكر، ولكني أرى أن تمكِّنَّا فنضرب أعناقهم، فتمكِّن عليًّا من عَقيل فيضرب عنقَه، وتمكنِّي من فلان -نسيبًا لعمر- فأضرب عنقَه، فإن هؤلاء أئمةُ الكفر وصناديدُها، فهوى رسول الله ﷺ ما قال أبو بكر ولم يهو ما قلت، فلما كان من الغد جئت فإذا رسول الله ﷺ وأبو بكر قاعديْن يبكيان، قلت: يا رسول الله، أخبرني من أي شيء تبكي أنت وصاحبك؟ فإن وجدت بكاء بكيت، وإن لم أجد بكاء تباكيت لبكائكما، فقال رسول الله ﷺ: «**أبكي للذي عَرض عليَّ أصحابُك من أخذهم الفداء، لقد عُرِضَ عليَّ عذابُهم أدنى من هذه الشجرة**» شجرةٍ قريبةٍ من نبي الله ﷺ وأنزل الله ﷻ: ﴿**مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسۡرَىٰ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسۡرَىٰ حَتَّىٰ يُثۡخِنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ**﴾ إلى قوله: ﴿**لَهُۥٓ أَسۡرَىٰ حَتَّىٰ يُثۡخِنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ**﴾ إلى قوله: ﴿**فَكُلُواْ مِمَّا يُثۡخِنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ**﴾ إلى قوله: ﴿**فَكُلُواْ مِمَّا غَنِمۡتُمۡ حَلَٰلٗا**

﴿فَكُلُواْ مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَٰلًا طَيِّبًا﴾ [الأنفال: ٦٧-٦٩] فأحل الله غنيمتهم لهم[١].

﴿فَكُلُواْ مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَٰلًا طَيِّبًا﴾ [الأنفال: ٦٧-٦٩] فأحل الله غنيمتهم لهم[١].

» **ومنها موقفه في ترك الصلاة على المنافقين**: فعن ابن عمر رضي الله عنهما أن عبد الله بن أُبيّ لما توفي، جاء ابنه إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، أعطني قميصك أكفنه فيه، وصلِّ عليه واستغفر له. فأعطاه النبي ﷺ قميصه فقال: «**آذِنِّي أصلِّ عليه**» فآذَنَهُ. فلما أراد أن يصلي عليه جذبه عمر رضي الله عنه فقال: أليس الله قد نهاك أن تصلي على المنافقين؟ فقال: أنا بين خِيرتين، قال: ﴿**ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ**﴾ [التوبة:٨٠] فصلى عليه، فنزلت: ﴿**وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا**﴾ [التوبة:٨٤]»[٢]

وله الدين الكامل الوافي:

---

(١) أخرجه مسلم (١٧٦٣) من حديث عبد الله بن عباس عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (١٢٦٩، ٤٦٧٠، ٤٦٧٢، ٥٧٩٦)، ومسلم (٢٤٠٠) من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

» فعن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**بينا أنا نائم رأيتُ الناس يُعرضون عليَّ، وعليهم قُمُص منها ما يبلغ الثُديَّ ومنها ما يبلغ دون ذلك، ومر عمر بن الخطاب وعليه قميص يجره،** قالوا: ماذا أوَّلْتَ ذلك يا رسول الله؟ قال: **الدين**»[(١)].

» وكان طويل العبادة، كثير البكاء ليلاً ونهارًا، فسُئل عن ذلك فقال: قد وليت أمرًا إن أعدل أحاسب، وإن أظلم أعاقب، وإن نمت نهارًا أضعت الرعية، وإن نمت ليلاً أضعت نفسي.

رابعًا: مروياته ﷺ:

روى ﷺ خمسمائة وتسعة وثلاثين حديثًا، حيث روى عن النبي ﷺ، وعن أبي بكر وأُبيّ بن كعب ﷺ.

وروى عنه جمع من الصحابة منهم: أولاده: عبد الله وعاصم وحفصة، وكذا روى عنه: عثمان، وعلي، وسعد بن أبي وقاص، وطلحة بن عبيد الله، عبد الرحمن بن عوف، وابن مسعود ﷺ[(٢)].

خامسًا: وفاته ﷺ:

» عاش ﷺ ثلاثًا وستين سنة، وكان من دعائه في آخر حجةٍ حجَّها: «اللَّهُمَّ ارزقني شهادة في سبيلك، واجعل موتي في بلد رسولك»[(٣)].

---

(١) أخرجه البخاري (٣٦٩١، ٧٠٠٨، ٧٠٠٩)، ومسلم (٢٣٩٠) من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ.
(٢) انظر: «تهذيب التهذيب» (٧/٣٨٥، ٣٨٦).
(٣) أخرجه البخاري (١٨٩٠) من حديث أسلم مولى عمر ﷺ.

» طعنه أبو لؤلؤة المجوسي طعنة الموت سنة ٢٣هـ. قال سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه: «طعن عمر يوم الأربعاء لأربع ليالٍ بقين من ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين، ودفن يوم الأحد صبيحة هلال المحرم»(١).

» وبعد طعنه بعث ابنه عبد الله رضي الله عنه إلى عائشة رضي الله عنها وطلب الدفن بجوار النبي ﷺ وصاحبه، فقالت: كنت أريده لنفسي، ولأوثرن به اليوم على نفسي، فلما رجع عبد الله بن عمر قال له عمر رضي الله عنه: ما لديك؟ قال: الذي تحب يا أمير المؤمنين، أَذِنَتْ، قال: الحمد لله، ما كان من شيء أهمّ إليّ من ذلك، فإذا أنا قضيت فاحملوني، ثم سلِّم، فقل: «يستأذن عمر بن الخطاب، فإن أذنت لي فادفنوني، وإلا فردوني إلى مقابر المسلمين»(٢).

» وكانت خلافته رضي الله عنه عشر سنين وستة أشهر وخمس ليالٍ.

---

(١) انظر قصة وفاته رضي الله عنه في: «صفة الصفوة» (٢٧٣/١)، و«شذرات الذهب» (٣٣/١)، و«تاريخ الخلفاء» (١٣٣/١)، و«تاريخ الطبري» (٥٥٩/٢)، و«حلية الأولياء» (١٥١/٤).

(٢) أخرجه البخاري (١٣٩٢، ٣٠٥٢، ٣١٦٢، ٣٧٠٠، ٤٨٨٨، ٧٢٠٧) من حديث عمرو بن ميمون الأودي مطولًا.

أهمية الحديث ومنزلته

أولاً: أقوال العلماء في منـزلة الحديث:

» **قال البخاري** رَحِمَهُ اللَّهُ: «ليس في أخبار النبي ﷺ شيء أجمع، ولا أغنى، ولا أكثر فائدة من هذا الحديث»[1].

» **وقال النووي** رَحِمَهُ اللَّهُ: «هذا حديث متفق على صحته...، وهو حديث عظيم، وأحد الأحاديث التي عليها مدار الإسلام بل هو أعظمها»[2].

» **وقال ابن حجر** رَحِمَهُ اللَّهُ: «تواتر النقل عن الأئمة في تعظيم قدر هذا الحديث»[3].

» **وقال أيضًا**: «هذا الحديث أحد الأحاديث التي يدور الدين عليها».

» **وقال المناوي** رَحِمَهُ اللَّهُ **في «فيض القدير»**: «الحديث أصل في الإخلاص، ونقل عن أبي عبيد قوله: ليس في الأحاديث أجمع، ولا أغنى، ولا أنفع، ولا أكثر فائدة منه»[4].

---

(١) «فتح الباري» (٣٣/١) ط. دار طيبة.

(٢) «المجموع» (٣٥٤/١).

(٣) «فتح الباري» (٣٣/١).

(٤) «فيض القدير» (٤٣/١) ط. دار الكتب العلمية.

ثانيًا: الحديث أصل من أصول الإسلام:

» **قال الشافعي** رَحِمَهُ اللَّهُ: «هذا الحديث ثلث الإسلام، ويدخل في سبعين بابًا من الفقه»[(١)].

» **قال النووي**: «لم يُرِد الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ انحصار أبوابه في هذا العدد فإنها أكثر من ذلك»[(٢)].

» **وعدَّ السيوطي** سبعين بابًا يدخل فيها هذا الحديث حَسب عبارة الشافعي[(٣)].

» **قال الإمام أحمد** رَحِمَهُ اللَّهُ: «أصول الإسلام على ثلاثة أحاديث: حديث عمر «**الأعمال بالنيات**»، وحديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا «**من أحدث في أمرنا ما ليس منه فهو رد**»[(٤)]، وحديث النعمان ابن بشير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ «**الحلال بيّن والحرام بيّن**»[(٥)][(٦)].

» **وقال أبو داود** رَحِمَهُ اللَّهُ: «نظرت في الحديث المسند، فإذا هو أربعة آلاف حديث، ثم نظـرت، فإذا مدار الأربعة الآلاف

---

(١) «شرح صحيح مسلم» للنووي (٥٣/٥) ط. دار الفيحاء.

(٢) «شرح العيني على البخاري» (٢٢/١).

(٣) «الأشباه والنظائر» للسيوطي (٧٢/١).

(٤) أخرجه البخاري (٢٦٩٧)، ومسلم (١٧١٨) من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

(٥) أخرجه البخاري (٥٢)، ومسلم (١٥٩٩) من حديث النعمان بن بشير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٦) ذكره بنحوه في «فتح الباري» (٣٣/١)، وفي «الأشباه والنظائر» (٦٩/١) للسيوطي.

حديث على أربعة أحاديث... فعد منها حديث عمر رضي الله عنه «**إنما الأعمال بالنيات**»[١].

وفي رواية أخرى قال: «الفقه يدور على خمسة أحاديث...»، فذكر منها حديث عمر رضي الله عنه[٢].

وفي رواية ثالثة قال: «أصول السنن في كل فن أربعة أحاديث...»، فذكر منها حديث عمر رضي الله عنه[٣].

» قال الحافظ أبو الحسن طاهر بن مفوِّز الأندلسي[٤]:

عُمْدَةُ الدِّينِ عِنْدَنَا كَلِمَاتٌ أَرْبَعٌ قَالَهُنْ خَيْرُ البَرِيَّهْ
اتَّقِ الشُّبُهاتِ وَازْهَدْ وَدَعْ مَا لَيْسَ يَعْنِيكَ واعْمَلَنْ بِنِيَّهْ[٥]

» وقال آخر:

الخَيْرُ في أَشْيَاءَ عَنْ خَيْرِ الوَرَى وَرَدَتْ فَأَبْدَتْ كُلَّ نَهْجٍ بَيِّنِ

---

(١) «الأشباه والنظائر» للسيوطي (٧٠/١).
(٢) المصدر السابق.
(٣) «التمهيد» لابن عبد البر (٢٠١/٩) ط. مؤسسة قرطبة.
(٤) هو الإمام الحافظ الناقد المجود، طاهر بن مفوز بن أحمد بن مفوز المعافري الشاطبي، تلميذ أبي عمر بن عبد البر، مولده سنة ٤٢٩ ومات سنة ٤٨٤. انظر: سير أعلام النبلاء (٨٨/١٩).
(٥) انظر: «الإيضاح في علوم البلاغة» (٣٨٦/١).

دَعْ مَا يرِيبُكَ وَاعمَلَنَّ بِنِيَّةٍ وَازْهَدْ وَلا تَغْضَبْ وَخُلْقَكَ حَسِّنِ[١]

» وقد اتفق الشافعي، وأحمد، وابن المديني، وأبو داود، والترمذي، والدارقطني على أن هذا الحديث ثلث الإسلام[٢].

فإن قيل: فما وجه كون هذا الحديث الشريف ثلث العلم؟

فالجواب: ما قال العيني: «لتضمنه النية، والإسلام: قول، وفعل، ونية»[٣].

وقال ابن حجر: «وجّه البيهقي كونه ثلث العلم، بأن كسب العبد يقع بقلبه، ولسانه، وجوارحه؛ فالنية أحد أقسامها الثلاثة، وأرجحها»[٤].

وكانت النية أرجح الثلاثة، لما يأتي:

١- لأن القول والعمل تابعان للنية صحة وفسادًا، أو ثوابًا وحرمانًا.

٢- ولأن النية تحتمل التكثر والتعدد في العمل الواحد، فيتضاعف الأجر، كمن جلس في المسجد بنية الاعتكاف، وانتظار الصلاة، والذكر، وقراءة القرآن، وطلب العلم، وعمارة المسجد، وترك ما لا يعنيه، ونحو ذلك.

---

(١) انظر: «نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب» (٦٨٣/٢).

(٢) «فتح الباري» (٣٣/١)، «الأشباه والنظائر» للسيوطي (٦٨/١-٦٩).

(٣) «عمدة القاري» للعيني (٢٢/١).

(٤) «فتح الباري» (٣٣/١).

٣- ولأن العبد العامل إنما يتعبد بوسعه وطاقته، بخلاف النية، فقد ينوي عتق العبد، والصدقة، وهو لا يملك.

٤- ويخلد المؤمن في الجنة أبدًا؛ لأنه ينوي طاعة الله في الدنيا أبدًا.

٥- ولجواز وصحة توبة العاجز عن المعصية كالمجبوب ونحوه.

٦- ولأن: «**نية المؤمن خير من عمله**»(١) - وهذا الحديث وإن كان ضعيفًا، بَيْد أن معناه صحيح؛ لأن نية بلا عمل خير من عمل بلا نية -إذا كانت النية خالصة لم يتطرق لها رياء، بدليل قوله ﷺ: «**من همَّ بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة، ومن همَّ بحسنة فعملها كتبت له عشرًا، إلى سبعمائة ضِعف، ومن همَّ بسيئة فلم يعملها لم تكتب، وإن عملها كتبت**»(٢)

---

(١) أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» (٦٨٥٩) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه. وقال: إسناده ضعيف. وأخرجه الطبراني في «الكبير» (٥٩٤٢)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٢٥٥/٣)، والخطيب البغدادي في «تاريخ بغداد» (٢٣٧/٩)، والديلمي في «مسند الفردوس» (٦٨٤٢) من حديث سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه. وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٦١/١) وقال: «رواه الطبراني في الكبير ورجاله موثقون إلا حاتم بن عباد بن دينار الجرشي لم أر من ذكر له ترجمة». وأخرجه القضاعي في «مسند الشهاب» (١٤٨) من حديث النواس بن سمعان رضي الله عنه. وقال العجلوني في «كشف الخفاء» (٢٨٣٦): «سنده ضعيف».

(٢) أخرجه البخاري (٧٥٠١)، ومسلم (١٣٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، واللفظ =

ثالثا: استفتاح العلماء مصنّفاتهم به:

» قال ابن مهدي: «من أراد أن يصنف كتابًا فليبدأ بهذا الحديث»[١].

» وقال أبو سليمان الخطابي: «كان المتقدمون من شيوخنا يستحبون تقديمه أمام كل شيء يبتدأ أو ينشأ من أمور الدين؛ لعموم الحاجة إليه في جميع أنواعها».

» وقال النووي: «كان السلف وتابعوهم من الخلف يستحبون استفتاح مصنفاتهم به؛ تنبيهًا للمطالع على حسن النية، والاعتناء بها»[٢].

وعَمِل بهذه الوصية جمع من العلماء منهم: البخاري الذي صدّر به «صحيحه»، وجعله كالخطبة لكتابه؛ إشارة منه إلى أن كل عمل لا يُراد به وجه الله، فهو باطل لا ثمرة له في الدنيا، ولا في الآخرة، وكذلك فعل تقي الدين المقدسي في «عمدة الأحكام»، والسيوطي في «الجامع الصغير»، والنووي في «المجموع»، و«الأربعين النووية»، وهو أول حديث في «رياض الصالحين».

رابعًا: خطبة النبي ﷺ والخلفاء رضي الله عنهم بهذا الحديث:

» ومما يدل على أهمية هذا الحديث: أن النبي ﷺ قد خطب

=

لمسلم.

(١) «فتح الباري» (٣٣/١) و«شرح صحيح مسلم» للنووي (٥٣/٥).

(٢) ذكره بنحوه في «المجموع» (٣٥٤/١).

به على المنبر، ويشهد لذلك أنه جاء في بعض الروايات: «**على المنبر**»[١] وقوله ﷺ: «**يا أيها الناس**»[٢]، كما خطب به الخلفاء الأربعة رضي الله عنهم على المنابر؛ لما تضمنه من جوامع الكلم، ومن الأصول العظيمة.

خامسًا: إفراد العلماء له بالتصنيف والشرح:

» فقد أفرد العلماء هذا الحديث وما يستفاد منه بالشرح والتأليف، في القديم والحديث، ومن ذلك:

أ- في القديم:

» «الإخلاص والنية» لابن أبي الدنيا.

» «المقنع في النيات» لابن الفراء الحنبلي.

» «شرح حديث إنما الأعمال بالنيات» لشيخ الإسلام ابن تيمية.

» «الأمنية في إدراك النية» للقرافي.

ب- في الحديث:

» «نهاية الإحكام في بيان ما للنية من الأحكام» لأحمد بك الحسيني من علماء الشافعية ت ١٣٣٢هـ.

---

(١) صحيح البخاري (١).

(٢) صحيح البخاري (٦٩٥٣).

» «مقاصد المكلفين أو النيات في العبادات» رسالة دكتوراه لفضيلة الشيخ: عمر الأشقر.

» «النية في الفقه الإسلامي مع تحقيق كتاب الأمنية في إدراك النية» رسالة دكتوراه للدكتور: محمد بن يونس السوسي.

» «النية وأثرها في الأحكام الشرعية» رسالة دكتوراه للشيخ: صالح السدلان.

والكتب الحديثة في النية والإخلاص لا تدخل تحت حصر؛ ولعل من أهم أسباب العناية بذلك في القديم والحديث؛ أن العمل الشرعي له ضابطان:

الأول: ضابط باطن: وهو النية الصادقة الصحيحة.

والثاني: ضابط ظاهر: وهو المتابعة ومجافاة الابتداع، والتزام الشرع ظاهرًا.

والحديث متعلق بالضابط الأول وهو الأهم؛ لأن النية عبودية القلب، والعمل عبودية القالب.

سبب الحديث

» **قال ابن حجر**: «روى سعيد بن منصور بسنده إلى عبد الله بن مسعود قال: «من هاجر يبتغي شيئًا فإنما له ذلك، هاجر رجل ليتزوج امرأة يقال لها أم قيس، فكان يقال له مهاجر أمِّ قيس»[1].

وروى الطبراني من طريق آخر عن الأعمش بلفظ: «كان فينا رجل خطب امرأة يقال لها: أم قيس، فأبت أن تتزوجه حتى يهاجر إليها، فهاجر فتزوجها؛ فكنا نسميه مهاجر أم قيس[2] وإسناده صحيح على شرط الشيخين[3].

» وهذا السبب هو المشهور، وقد ورد مثل ذلك في قصة أبي طلحة الأنصاري، حيث أسلمت أم سليم قبله، فخطبها فاشترطت إسلامه، فأسلم وتزوجها، قال أنس رضي الله عنه: «تزوج أبو طلحة أم سليم فكان صداق ما بينهما الإسلام، أسلمت أم سليم قبل أبي طلحة، فخطبها، فقالت: إني قد أسلمتُ، فإن أسلمتَ نكحتك، فأسلم، فكان صداق ما بينهما»[4].

---

(١) أخرجه سعيد بن منصور في «سننه»، ومن طريقه الطبراني في «الكبير» (٨٥٤٠) وسيأتي.

(٢) أخرجه الطبراني في «الكبير» (٨٥٤٠) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠١/٢) وقال: «رجاله رجال الصحيح».

(٣) «فتح الباري» (٣٢/١).

(٤) أخرجه النسائي (٣٣٤٠) من حديث أنس رضي الله عنه. وإسناده رجاله ثقات.

والعبرة على كل حال بعموم اللفظ، لا بخصوص السبب.

» والحديث -على الراجح- له أكثر من سبب، وقد وردت آيات وأحاديث لها أسباب متعددة، ولا إشكال في ذلك.

قال ابن حجر في الفتح: «لكن ليس فيه[١] أن حديث الأعمال سيق بسبب ذلك؛ ولم أر في شيء من الطرق ما يقتضي التصريح بذلك»[٢].

قال ابن دقيق العيد: «السبب يقتضي أن المراد بالحديث الهجرة من مكة إلى المدينة»[٣].

» **فإن قيل**: إذا كان للحديث أكثر من سبب، فلماذا اقتصر بعض أهل العلم على ذكر حديث مهاجر أم قيس؟

فالجواب على ذلك من وجوه:

أولاً: لأن الصحيح الثابت ورد في مهاجر أم قيس؛ فاقتصروا عليه.

ثانيًا: لا يلزم من شهرته عندهم بمهاجر أم قيس نفي ما عداه.

ثالثًا: قيل: إن مهاجر أم قيس كان السبب الأول، ثم توالت الأسباب الأخرى بعد ذلك.

» وهذه كلها احتمالات لم تعضّد بيقينٍ من الروايات، والعبرة بعموم اللفظ على كل حال.

---

(١) يعني: قول ابن مسعود السابق في قصة مهاجر أم قيس عند سعيد بن منصور.

(٢) «فتح الباري» (٣٢/١).

(٣) «إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام» لابن دقيق العيد (١١/١) دار الكتب العلمية.

شرح المفردات

«**إنما**»: أداة حصر تثبت المذكور وتنفي ما سواه.

«**الأعمال**»: أي أعمال الجوارح الشرعية التي تحتاج إلى نية.

«**بالنيات**»: جمع نية **وهي لغة**: قصد الفعل، وانبعاث القلب نحو ما يراه موافقًا لغرض من جلب نفع، أو دفع ضر.

وشرعًا: قصد الشيء مقترنًا بفعله؛ طلبًا لرضا الله، وامتثالاً لأمره، ومحلها القلب.

«**امرئ**»: رجل أو شخص.

«**الهجرة**»: **لغة**: الترك والانتقال.

وشرعًا: الانتقال من دار الكفر إلى دار الإسلام، ومن دار الخوف إلى دار الأمان، كما فعل الصحابة في الهجرة إلى الحبشة، وتطلق الهجرة أيضًا على ترك المنكرات كما في قوله تعالى: ﴿وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ﴾ [المدثر:٥].

ويحسن هنا مطالعة تقسيم ابن دقيق العيد للهجرة في كتابه «إحكام الأحكام» (١/١٠-١١).

الشرح الإجمالي

إن المعيار الذي توزن به الأعمال هو ما بَعَثَ عليها من نيات القلوب ومكنونات الصدور.

والحكم بالثواب والعقاب والمدح والذم تابعٌ للنظر في النوايا والمقاصد.

فالمؤمن يثاب بحسب نيته، وعلى قدر صلاحها. فمن كانت أعماله خالصة لله فمقبولة ولو كانت قليلة يسيرة، ومن كانت أعماله رئاء الناس فمردودة وإن كانت عظيمة كثيرة، فالإنسان قد يثاب على نيته الطيبة ما لا يثاب على عمله.

عَمَـلٌ إِنْ لَـمْ يُوافِـق نيَّـةً فهـو غـرسٌ لا يُـرى منـه ثَمَـر

إنَّمـا الأَعْمَـالُ بالنِّيَّـاتِ قَـدْ نَصَّهُ عَـنْ سَـيِّدِ الخَلْـقِ عُمَـر[1]

والأعمال تؤثر فيها النيات، فعلى المسلم أن يجتهد في إصلاح نيته وقلبه، وإخلاص قصده وإرادته.

وبالنيات تتميز العادات من العبادات، فالغسل قد يكون للتنظف، أو للجنابة، أو للإحرام...، ولا يميز ذلك إلا النية.

---

(١) انظر: «نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب» (٦٨٣/٢).

» وفي الحديث الشريف ضرب الرسول ﷺ مثالاً بالهجرة، فالهجرة تختلف في ثوابها وحكمها باختلاف نياتها ومقاصدها، فمن قصد بها حب الله ورسوله والرغبة في دين الإسلام وإظهاره، فهو المهاجر إلى الله تعالى المستحق للثواب العظيم والأجر الجزيل، وكفى فخرًا أنه حَصَّل ما نواه من هجرته إلى الله ورسوله. ومن نوى غير ذلك من عَرَضِ الدنيا فليس له إلا ما نواه.

» وقد جمع الحديث بين الأعمال والنيات في إشارة واضحةٍ إلى التلازم بينهما، وفي هذا الجمع والحَصْر الواردين في الحديث إشارة إلى صحة الأعمال إذا صحَّت نياتُها ومقاصدها، وأنَّ الأعمال دليل النوايا الحسنة؛ إذ الحَسَن لا يُثْمِرُ إلا حسنًا.

الشرح التفصيلي

❁ **«عن أمير المؤمنين»:**

» أول من لُقِّب بهذا اللقب هو عمر رضي الله عنه.

» **أما من لقبه بذلك؟ ففيه أقوال:**

١- لبيد بن ربيعة، وعدي بن حاتم الطائي، حين دخلا عليه وطلبا الإذن من عمرو بن العاص قائلين: «استأذن لنا بالدخول على أمير المؤمنين»، فقال عمرو: «أنتما والله أصبتما اسمه»، فدخل عليه وقال: «السلام عليك يا أمير المؤمنين»، فقال: «ما بدا لك في هذا الاسم؟!» فأخبره الخبر وقال: «أنت الأمير، ونحن المؤمنون»[(١)].

٢- وقيل: المغيرة بن شعبة[(٢)].

٣- وقيل: إنه قال للناس: أنتم المؤمنون، وأنا أميركم[(٣)].

وقد قيل: إن أول من لقب به مطلقًا عبد الله بن جحش، حين

---

(١) انظر: «الأوائل» (٤١/١) للعسكري «تاريخ الخلفاء» (١٣٨/١)، و«مآثر الإنافة» (٢٧/١).

(٢) قيل: إن أول من سمّاه أمير المؤمنين عدي بن حاتم الطائي رضي الله عنه ، وأول من سلّم عليه بها المغيرة بن شعبة. انظر: «وفيات الأعيان» (١٠٥/٦)، و«تاريخ الخلفاء» (١٣٨/١).

(٣) انظر: «تاريخ الخلفاء» (١٣٨/١)، و«تاريخ الطبري» (٥٦٩/٢).

بعثه النبي ﷺ في سرية، فقال له أصحابه: «ما ندعوك؟» فقال: «أنتم المؤمنون، وأنا أميركم»، قالوا: «أنت إذًا أمير المؤمنين».

ومن بعده صار هذا اللقب - أمير المؤمنين - يطلق على كل من ولي خلافة المسلمين، وملك أمرهم.

فائدة في جملة من ألقاب الأمراء قديمًا:

» ولي أمر الروم يسمى قيصرًا. ـ ولي أمر اليمن يسمى تُبَّعًا.

» ولي أمر الفرس يسمى كسرى. ـ ولي أمر حمير يسمى القيل.

» ولي أمر الترك يسمى خاقان. ـ ولي أمر القبط يسمى المقوقس.

» ولي أمر الحبشة يسمى النجاشي. ـ ولي أمر مصر يسمى العزيز.

❁ **«أبي حفص»:**

» **إعرابه:** أبي: بدل من أمير المؤمنين أو عطف بيان، وحفص: مضاف إليه.

» **فإن قيل: من كناه هذه الكنية؟**

فالجواب: الذي كناه بذلك: النبي ﷺ لما رأى فيه من الشدة والقوة[1].

ومما يدل على شدته وقوته ما روى زيد بن أسلم رضي الله عنه عن أبيه أنه قال: «رأيت عمر بن الخطاب رضي الله عنه يمسك أذن فرسه

(١) ورد ذلك عند ابن إسحاق في «السيرة» كما في «فتح الباري» (٤٤/٧).

بإحدى يديه، ويمسك بالأخرى أذنه، ثم يثب حتى يركب»[(١)].

«**حَفْصُ**»:

اسم من أسماء الأسد، أو اسم لابنه[(٢)].

ولقبه النبي ﷺ أيضًا بالفاروق[(٣)]؛ لأن الله تعالى فرق به بين الحق والباطل، فكان أول من جهر بالإسلام، وأيد الله به الدين.

❁ «رضي الله عنه»:

دعاء له بأن يباعد الله عنه أسباب سخطه؛ لأن الرضا والرضوان ضد السخط، وكما يجوز هذا الدعاء للصحابة يجوز لغيرهم.

❁ «**قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول**»:

«**سَمعتُ**»:

» السمع في الأصل مصدر سمع يسمع سماعًا، وهو واحد وجمع، قال تعالى: ﴿**خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَعَلَىٰ سَمۡعِهِمۡ**﴾ ﴿**قُلُوبِهِمۡ وَعَلَىٰ سَمۡعِهِمۡ**﴾ [البقرة:٧]، ويجمع على أسماع، وأسمُع ﴿**سَمۡعِهِمۡ**﴾ [البقرة:٧]، ويجمع على أسماع، وأسمُع وهو جمع قلّة،

---

(١) المصدر السابق (ص٢٨).

(٢) قال الحافظ في «الفتح» (٣٧٦/٨): «أما كنيته فجاء في السيرة لابن إسحاق أن النبي ﷺ كناه به، وكانت حفصة أكبر أولاده.

الحَفْصُ: الشبل، قال الأزهري: ولد الأسد يسمى حَفْصًا، وقال ابن الأعرابي: هو السبع أيضًا، وقال صاحب «العين»: الأسد يكنَّى أبا حفص ويسمى شبله حفصًا. انظر: «لسان العرب» (١٧/٧)، و«العين» (١٢٣/٣).

(٣) أخرجه ابن أبي الدنيا في «مكارم الأخلاق» (٢٠١) عن زيد بن أسلم.

ويجمع على أسامع[1]، وهو يتعدى إلى مفعول واحد.

» وأصل السمع الحاسة المعروفة، وهي في الإنسان وغيره، لكنها في الإنسان سبب العقل، والفكر، والتدبر؛ لذا نفى الله السمع عن الكافرين فقال: ﴿**وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ**﴾ [الأعراف:١٧٩].

وعليه فالسمع سمعان: سمع إدراك وتمييز بالحاسة، والثاني سمع استجابة وهداية، قال تعالى: ﴿**إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ يَسْمَعُونَ**﴾ [الأنعام:٣٦].

» والسمع يقع مفردًا مقدمًا، والبصر قد يقع مجموعًا مؤخرًا؛ وذلك لما يأتي:

١- لأن السمع لا يتعدد بخلاف البصر.

٢- وهو سابق على البصر في الوجود والعمل، فالطفل يسمع قبل أن يبصر.

٣- وفي أثناء النوم تتعطل الحواس، وتبقى حاسة السمع صالحة لقبول المؤثرات الخارجية، وعن طريقها يستيقظ الإنسان؛ ولذا لما قدر الله السبات الطويل على أهل الكهف ضرب على آذانهم.

» وقوله: «**سمعت رسول الله**»: أي: سمعت صوته؛ لأن

---

(١) انظر: «النهاية» (٤٠٢/٢)، و«غريب الحديث» لابن الجوزي (٤٩٨/١)، و«المغرب» (٤٩٨/١).

الذات لا تُسْمَع.

» والسمع في الحديث تَحَمُّلٌ من أعلى درجات الرواية، ومثله في العلو «أخبرنا» أو «قال لي» أو «حدثني» ونحو ذلك من العبارات الدالة على الاتصال في الإسناد، وبعض هذه العبارات أَرْقَى من بعض، وأما «عن» أو العنعنة فلا تدل على الاتصال إلا إذا ثبت سماع الراوي من شيخه في الجملة، فلا مانع أن يعنعن بعد ذلك، ولا تُقْبَل العنعنة من المدلِّس أو كثير الإرسال؛ لأنَّه ليس أهلاً للثقة في عنعنته[1].

» وهذا كله فيمن دون الصحابة من التابعين وأتباعهم فما بعدهم، وأما الصحابة فجميعهم عدولٌ، لا يُسْأل عن حالهم، كما لا يُبْحَثُ في أدوات سماعهم في الجملة.

«**يقول**»:

هذه الجملة من الفعل والفاعل في موضع نصب على الحال من رسول الله، أي: قائلاً، وهذه الحال لازمة الذِّكر؛ لأنها مبينة للمحذوف المقدَّر بصوت.

❁ **قوله ﷺ: «إنما الأعمال بالنيات»:**

---

(١) وانظر: «الكفاية» للخطيب (ص٣٥٧، ٤١٢)، و«التمهيد» لابن عبد البر (١٧/١)، و«مقدمة صحيح مسلم» (١٣٧/١- مع شرح النووي)، و«شرح العلل» لابن رجب (ص٢٠٩).

وفي رواية: «**الأعمَالُ بالنيَّاتِ**»[١]، وفي رواية «**بالنيَّة**»[٢]، وفي رواية للبخاري في كتاب «النكاح»: «**العمَلُ بالنيَّةِ**»[٣].

«**إنما**»:

» أصلها: «إنّ»: الحرف الناسخ الناصب الذي يفيد التوكيد.

» «ما»: زائدة لا عمل لها؛ لأنها حين تتصل بـ (إنَّ) تبطل عملها، وتكفّها عن العمل.

» و«إنما»: أداة تفيد تقوية الحكم الذي بعدها وتوكيده، كما تفيد الحصر والقصر، فهي أداة توكيدٍ وحصر، كافَّةٌ مكفوفة.

» **ومعنى كون «إنما» تفيد تقوية الحكم بعدها وتوكيده:**

أنها تجعل ما بعدها معلومًا مؤكدًا، أو منـزلاً منـزلة المعلوم إن لم يكن معلومًا.

فمثال الأول:

١- قوله تعالى: ﴿**إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ يَسْمَعُونَ**﴾ [الأنعام:٣٦]، ﴿**يَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ يَسْمَعُونَ**﴾ [الأنعام:٣٦]، فإن كل عاقل يعلم ﴿**يَسْمَعُونَ**﴾ [الأنعام:٣٦]، فإن كل عاقل يعلم أنه لا تكون

---

(١) رواه ابن حبان (٣٨٨، ٣٨٩، ٤٨٦٨).

(٢) رواه البخاري (٢٥٢٩، ٣٨٩٨)، ورواه بزيادة «إنما» في (٦٦٨٩) و(٦٩٥٣).

(٣) رواه البخاري (٥٠٧٠).

الاستجابة إلا ممن يسمع.

٢- قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات:١٠].

٣- قولنا: إنما زيد أخوك وصاحبك القديم، يقال لمن يقر بذلك؛ تنبيهًا وتأكيدًا على ما يجب من حق الأخوة والصحبة.

ومثال الثاني: قوله ﷺ: «**إنما الأعمَالُ بالنيَّاتِ**»(١).

إذ كون صحة الأعمال الشرعية أو كمالها بحسب النيات، كان أمرًا غير معلوم قبل الإخبار به، إلا أنه نزل منـزلة المعلوم؛ إشارة إلى أنه مما لا يمكن رده أو إنكاره، وفيه تأكيد للأمر وتقوية له.

» **وقد يعترض بأنه**: لا حاجة إلى التأكيد والتقوية هنا؛ لأن التأكيد لدفع الشك، وذلك لا يكون في كلامه ﷺ؛ لأنه وحي من عند الله لاشك فيه، ثم إن المخاطب بهذا الحديث هم الصحابة، وهم أعظم الأمة إيمانًا، ولا يتصور منهم ذلك.

ويجاب على ذلك من وجوه:

أولاً: هذه الأداة «إنّ» كما أفادت التوكيد، أفادت الاهتمام بمضمون الكلام وتقريره، وإظهار كمال العناية به، وبيان

---

(١) تقدم تخريجه.

خطورته وأهميته. ومثال ذلك في كتاب الله قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ﴾ [الكوثر:١]، وقوله تعالى: ﴿ٱلۡكَوۡثَرَ﴾ [الكوثر:١]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّا فَتَحۡنَا لَكَ فَتۡحًا مُّبِينًا﴾ [الفتح:١].

﴿فَتۡحًا مُّبِينًا﴾ [الفتح:١].

ثانيًا: الخطاب بالقرآن والسنة ليس مقصورًا على الصحابة؛ بل هو لهم ولمن أتى بعدهم ممن يتأتى له الخطاب.

ثالثًا: أن هذه الأداة «إنما» أفادت الحصر والقصر أيضًا:

» **والحصر** لغة هو: الحبس والقصر.

واصطلاحًا: إثبات المذكور، ونفي ما سواه.

» **والقصر**: تخصيص شيء بشيء بطريق مخصوص.

وينقسم باعتبار توجه النفي إلى كل ما عدا المقصور عليه أو بعضه إلى:

أ- **حقيقي**: وهو ما نُفي فيه الحكم عن جميع ما عدا المقصور عليه، ودون نظر إلى حال مخاطب معين.

ومنه قصر الصفة على الموصوف، مثل: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [محمد:١٩]، فالآية تقصر صفة

تعالى دون جميع ما عداه، ومثله كذلك: قوله تعالى:﴿**وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ**﴾ [الإسراء:٢٣]، فقصر العبادة على الله ﷻ.

إِيَّاهُ﴾ [الإسراء:٢٣]، فقصر العبادة على الله ﷻ.

ب- إضافي: ما لم يكن فيه النفي موجهًا إلى جميع ما عدا المقصور عليه، وإنما على بعضه فقط.

ومنه قصر الموصوف على الصفة، ومثال ذلك: قوله تعالى: ﴿**إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَٱجۡتَنِبُوهُ**﴾ [المائدة:٩٠]، حيث قصر الخمر وما بعدها -وهي موصوفات- على صفة الرجس.

ومنه قوله تعالى: ﴿**إِنۡ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٞ**﴾ [فاطر:٢٣]، حيث قصر الموصوف -وهو النبي ﷺ- على الإنذار وهو صفة، لا يتعداها إلى غيرها.

» **فإذا قيل: ما الفرق بين قصر الصفة على الموصوف، وقصر الموصوف على الصفة؟**

فالجواب: في قصر الصفة على الموصوف يمتنع أن يشارك الموصوفَ أحدٌ غيرُه في الصفة المذكورة، ففي قول: «لا إله إلا الله» يمتنع أن يشارك الله سبحانه أحدٌ في الصفة المذكورة، وهي صفة الألوهية.

أما في قصر الموصوف على الصفة: فلا يمتنع في حق الموصوف أن يشاركه غيره، فقوله تعالى: ﴿**إِنۡ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٞ**﴾ لا يمنع أن يوجد نذير غيره.

ففي النوع الأول يختص الموصوف بالصفة ولا ينفك عنها، وأما الثاني فبعكس ذلك.

» **ولكن: كيف يعرف القصر والحصر الإضافي والحقيقي؟**

المحكَّم في معرفة ذلك هو: السياق والقرائن.

فلو قلت: إنما قام زيد، أي: لا عمرو، فهذا حصر لصفة القيام في زيد دون غيره، ومثل ذلك قولك: إنما إلهي الله، فهو حصر لصفة الألوهية في الله ﷻ دون غيره.

ولو قلت: إنما زيد قائم، أي: لا قاعد، فهذا حصر وقصر للموصوف على صفة قد يشاركه فيها غيره كعمرو.

ومثل ذلك: قوله تعالى: ﴿**إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ**﴾ [النساء:١٧١]، ﴿**إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ**﴾ [النساء:١٧١]، أي: لا شريك له، وليس معنى هذا أن صفاته تعالى تنحصر في ذلك؛ بل له ﷻ صفات أخرى كثيرة.

» **وهناك طرق أخرى غير «إنما» تفيد الحصر والقصر، ومنها:**

١- النفي والاستثناء، مثل قول: **لا إله إلا الله.**

٢- تقديم ما حقه التأخير، مثل قوله تعالى: ﴿**إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ**﴾ [الفاتحة:٥].

٣- العطف بـ (لا)، أو (بل)، أو (لكن) مثال قولك: الأرض بيضاوية لا كروية، أو: ما الأرض كروية بل بيضاوية، أو: ما الأرض كروية لكن بيضاوية.

» **فإن قيل: قوله ﷺ: «إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِيَّات» من أي أنواع الحصر والقصر؟**

فالجواب: يصح أن يكون من قصر الصفة على الموصوف؛ أي: من الحصر الحقيقي، أو من قصر الموصوف على الصفة؛ أي: من الحصر الإضافي.

فإذا قلنا: إن تقدير الكلام هو: إنما صحيحُ الأعمال الشرعية أو كاملها: المَنوِيُّ؛ فيكون هذا من قبيل حصر الصفة - وهي الصحة أو الكمال- على المَنْوِيِّ من الأعمال، لا على غيره مما لم يُنْوَ. وهذا من حصر الصفة على الموصوف.

أو يكون حصر العمل الشرعي الصحيح أو الكامل في الكون

والوجود: بالنية. وهذا من قبيل حصر الموصوف على الصفة.

» **فإن قيل: ما وجه إفادة «إنما» للحصر؟**

فالجواب: اتفق المحققون في كون «إنما» تفيد الحصر، واختلفوا في وجه ذلك:

١- فقيل: تفيده بالمنطوق وضعًا حقيقيًا، وهو المشهور عند جميع أهل الأصول من المذاهب الأربعة؛ لأنها مركبة من: «**إن**» وهي (حرف لتأكيد إثبات المسند إلى المسند إليه)، و«**ما**»: الكافَّة التي تستعمل أيضًا للتأكيد والإثبات، فتضاعف الإثبات والتأكيد؛ فناسب أن تتضمن «**إنما**» معنى الحصر، فمعناها: ليس الأمر إلا كذا.

٢- وقيل «**إنما**» تفيد الحصر بالمفهوم – أي مفهوم المخالفة –؛ لصحة أن يقال: إنما زيد قائم لا قاعد، بخلاف: ما زيد إلا قائم؛ لأنها لو أفادت الحصر بالمنطوق لكان قولنا: «لا قاعد» تكرارًا لا فائدة منه.

٣- وقيل: تفيد الحصر بالحقيقة العُرفية.

ومن أدلة كونها تفيد الحصر: قوله تعالى: ﴿**مَّا عَلَى ٱلرَّسُولِ عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ**﴾ [المائدة:٩٩]، مع قوله تعالى: ﴿**فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ**﴾ [التغابن:١٢]، وكذلك قوله تعالى:﴿**وَمَا ٱلْمُبِينُ**﴾ [التغابن:١٢]، وكذلك قوله تعالى:﴿**وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ**

تعالى:﴿وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الصافات:٣٩]، مع قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [التحريم:٧].

فالأول أسلوب حصر بالنفي والاستثناء، والثاني بـ (إنما).

وقد يعترض على ذلك فيقال:

لو كانت «**إنما**» للحصر، وقوله ﷺ: «**إنما الأعمال بالنيات**» أسلوب حصر وقصر؛ لكان حذفها يفوت هذا القصر مع أنه مراد، ولكن قد ثبت حذفها في رواية «**الأعمال بالنية**»(١)، ووقع فيها القصر؛ لأن (أل) في الأعمال تفيد الاستغراق وهو مستلزم للقصر، والمبتدأ المحلى بـ (أل) الاستغراقية يُقصَر على الخبر؛ لأن المعنى حينئذ: كل عمل بنية، ولا عمل إلا بنية!!

ويجاب على ذلك بأن:

«إنما»: في الحديث زيادة من ثقة، فهي معتبرة سواء وجد أسلوب الحصر أم لم يوجد عند حذفها.

«**الأعمال**»:

جمع عَمَل، وهو مصدر عَمِل يعمَل عملاً، بمعنى: حركة البدن.

» **فإن قيل: ماذا تفيد الألف واللام في «الأعمال»؟**

فالجواب:

---

(١) تقدم تخريجه.

١- إنها للجنس.

٢- وقيل للعهد الذهني: أي: الشرعِيَّات، كالعبادات المفتقرة إلى النيات؛ وهذا لإخراج العاديَّات كالأكل والشرب؛ لعدم توقف صحتها على نية.

ولهذا قال ابن حجر في شرحه لهذا الحديث: إن المقصود بالأعمال هنا: الأعمال الصادرة عن المكلفين، والظاهر خروج أعمال الكفار؛ لأن المقصود بالأعمال: العبادات[1].

٣- وقيل للاستغراق: وهو محكي عن جمهور المتقدمين، ولا يَرِد عليه نحو الأكل من العاديات؛ لأن من أراد الثواب عليه احتاج إلى نية صالحة -لا مطلقًا- لحصول المقصود بوجود صورته كنية التقوِّي على الطاعة ونحوها.

» **وهل يدخل القول في الأعمال؟**

الجواب: نعم يدخل؛ لأنه عمل اللسان.

وقد اعتُرِض على ذلك بأن من حلف لا يعمل عملاً فقال قولاً، أنه لا يحنث!! بأن القول لا يدخل في العمل حقيقة.

والجواب على ذلك: أن مرجع اليمين إلى العُرف، والقول لا يُسمى عملاً في العرف؛ ولهذا يعطف القول على العمل.

---

(١) انظر نص كلام ابن حجر في: «فتح الباري» (١٣/١).

» **فإن قيل هل النية من الأعمال؟**

فالجواب: نعم النية عمل من أعمال القلب.

وقد اعترض على ذلك بأنه إذا احتاج كل عمل إلى نية، وكانت النية عملاً من أعمال القلب؛ فتحتاج النية إلى نية، وهَلُمَّ جرًّا، وهذا يفضي إلى التسلسل وهو باطل.

ويمكن أن يجاب عن هذا الاعتراض بأحد أمرين:

الأول: أن المراد بالعمل هنا هو عمل الجوارح كالصلاة، فلا يطلق العمل هنا على عمل القلب، فالنية خارجة عن العمل - بقرينة العقل- دفعًا للتسلسل.

الثاني: أن العُرف لا يُطلِق (العامل) على الناوي، وقد ذكر صاحب القاموس أن العَمَل: المهنة والفعل[1]، فلا يتناول توجه القلب وقصده.

» **فإن قيل: (الأعمال) جمع قلّة وهو لما دون العشرة، فهل يوهم هذا أن الأعمال المفتقرة إلى النيات دون العشرة، فتكون قليلة جدًّا؟**

فيقال: إنما تعتبر القلة والكثرة في الجموع إذا كانت نكرات، مثل: أعمال، نيات، وسرقات.. وأما المعارف فلا يعتبر فيها ذلك.

---

(١) «القاموس المحيط» (١/١٣٣٩).

مسألة:

ما الحكمة في أن النبي ﷺ آثر ذكر (الأعمال) على (الأفعال)؟

يمكن تلمس الحكمة من خلال الأمور التالية:

الأول: لأن العمل أخص من الفعل؛ حيث يطلق الفعل وينسب إلى البهائم والجمادات كما ينسب إلى ذوي العقول، بخلاف العمل؛ حيث يُعْتَبر فيه القصد.

لذا قال بعض الأدباء: قُلِبَ لفظ (العمل) من لفظ (العلم)؛ تنبيهًا على أنه من مقتضاه.

الثاني: لأن العمل أعم من الفعل؛ فإن العمل يتناول الأقوال والأفعال، وأعمال القلوب والجوارح[1].

الثالث: وقد يقال الحكمة من ذلك؛ لئلا تُتَناول أفعال القلوب كالاعتقادات، والتوبة، والنية؛ لأنها لا تحتاج إلى نية، وكذا لئلا يُتَناول ترك الزنا والربا؛ لأن ذلك من التروك.

» **فإن قيل: لماذا لا تتوقف هذه المذكورات على النية؟**

فالجواب: لأنه لو توقفت أفعال القلوب على النية، مع كون النية قصد المنوي بالقلب، ولا يقصد الناوي إلا ما يعرف، فيلزم أن يكون الإنسان عارفًا بالله قبل معرفته له، فيكون عارفًا

---

(١) «عمدة القاري» (٢٣/١).

وغير عارف به في حالة واحدة! ويلزم عن هذا لازم فاسد، وهو: أن معرفة الله لا ثواب فيها؛ لأن الثواب يتبع النية، وقد صَرّح بهذا القرافي وابن جماعة.

وأما إزالة الخبث: فإنها لا يُحتاج فيها إلى النية من حيث التطهير، وإن كان يُحتاج إليها من حيث الثواب على امتثال أمر الشارع، ويقال مثل هذا أيضًا في رد الأشياء المضمونة كالأمانات.

وأما الزنا فتاركه من حيث إسقاط العقاب عنه لا يحتاج إلى نية، ومن حيث تحصيل الثواب على الترك يحتاجها.

الرابع: أن النبي ﷺ آثر ذكر (الأعمال) على (الأفعال)؛ لأن الأفعال تستعمل في جانب الرب ﷻ بخلاف الأعمال.

وقد يطرأ هنا استشكال وهو أن الله تعالى يقول: ﴿**أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَـٰمًا**﴾ [يس:٧١] فذكر هنا (العمل) في حقه جل شأنه.

فيُجاب على هذا بما قاله المباركفوري، حيث قال رحمه الله: «والأعمال أعم من أن تكون أقوالاً أو أفعالاً، فرضًا أو نفلاً، قليلة

أو كثيرة، صادرة من المكلفين المؤمنين»[١].

«**بِالنِّيَّاتِ**»:

» **الباء**: أي بسببها.

فالباء سببية، حيث إن النيات سبب الأعمال والمقوِّمة للعمل، والباعثة عليها.

وقد يقال إن الباء للمصاحَبة والإلصاق، أي النيات مصاحبة للأعمال، وملاصقة لها في الوجود.

وعلى معنى كونها للإلصاق والمصاحبة: فهي من نفس العمل، فيشترط ألاّ تتخلف عن أوله.

وعلى معنى كونها سببًا: فليست من نفس العمل.

» **النيات**: لغة: جمع نيَّة، مصدر من نَوَى يَنْوِي من باب ضَرَبَ يَضْرِبُ، بمعنى قَصَد[١].

والمشهور فيها تشديد الياء فيقال (نِيَّة)، وحُكِي تخفيفها فيقال: نِيَة[٢]، من وَنَى يني إذا أبطأ؛ لأنه يحتاج في تصحيحها

---

(١) «تحفة الأحوذي» (٥/٢٣٢) ط. دار الكتب العلمية.

(١) انظر: «لسان العرب» (١٥/٣٤٧)، و«القاموس المحيط» (١/١٧٢٨)، و«مختار الصحاح» (١/٢٨٦).

(٢) حكى التخفيف ابن منظور ونسبه إلى اللحياني وحده، وقال: «وهو نادر إلا أن يكون على الحذف» انظر: «لسان العرب» (١٥/٣٤٧).

لنوع إبطاء، قال العيني: وهو محل نظر[١].

و(أل) في «النيات»: عوض عن المضاف إليه، أي بنياتها.

وقال النووي: النية القصد، وهو عزيمة القلب[٢].

وعلى هذا فالنية عمل قلبي خالص، وليست من أعمال اللسان؛ ولذا لم يُعرف عن النبي ﷺ ولا عن أصحابه رضي الله عنهم ولا عن تابعيهم بإحسان من سلف الأمة التلفظ بالنية في العبادات اللّٰهُمَّ إلا الإهلال بالنسك في الحج والعمرة.

قال ابن عثيمين: «إذا قال قائل: قول الحاج: لبيك اللّٰهُمَّ عمرة، ولبيك حجًا، ولبيك اللّٰهُمَّ عمرة وحجًا، أليس هذا نطقًا بالنية، فالجواب: لا، هذا من إظهار شعيرة النسك، ولهذا قال بعض العلماء: إن التلبية في النسك كتكبيرة الإحرام في الصلاة،

---

(١) «عمدة القاري» (٢٣/١)

(٢) قال إمام الحرمين: النية إن تعلقت بفعل مستقبل فهي عزم، وإن تعلقت بفعل حاضر سميت قصدًا تحقيقًا، أما ابن القيم فيرى أن النية هي القصد بعينه إلا أن بينهما فرقًا:

١- القصد عنده معلق بفعل الفاعل نفسه وبفعل غيره، والنية متعلقة بفعل الفاعل نفسه، وعلى هذا يكون القصد عنده أعم من النية .

٢- القصد يكون بما هو مقدور على تحقيقه، والنية بما هو مقدور وغير مقدور على تحقيقه، وبناء على هذا تكون النية عنده من هذا الحديث أعم من القصد .

فإذا لم تلب لم ينعقد الإحرام، كما أنه لو لم تكبر تكبيرة الإحرام للصلاة ما انعقدت صلاتك. ولهذا ليس من السنة أن نقول ما قاله بعضهم: اللَّهُمَّ إني أريد نسك العمرة، أو أريد الحج فيسره لي، لأن هذا ذكر يحتاج إلى دليل ولا دليل»[١].

نقل الزركشي عن الغزالي في «فتاواه» قوله: «أمر النية سهل في العبادات، وإنما يتعسر بسبب الجهل بحقيقة النية أو الوسوسة»[٢].

» **ومعنى النية اصطلاحًا**:

قال ابن رجب رَحِمَهُ اللَّهُ: «**والنية في كلام العلماء تقع بمعنيين**:

أحدهما: بمعنى تمييز العبادات بعضها عن بعض، تمييز صلاة الظهر من صلاة العصر، وتمييز صيام رمضان من صيام غيره.

أو تمييز العبادات من العادات، كتمييز الغسل من الجنابة من غسل التبرد والتنظف، ونحو ذلك.

وهذه النية هي التي توجد كثيرًا في كلام الفقهاء في كتبهم.

والمعنى الثاني: بمعنى تمييز المقصود بالعمل، وهل هو الله وحده لا شريك له، أم غيره، أم الله وغيره؟.

وهذه النية التي يتكلم فيها العارفون في كتبهم عند كلامهم

---

(١) «شرح الأربعين النووية»، لابن عثيمين، (ص١٠).

(٢) انظر: «المنثور في القواعد» للزركشي (٣/٢٨٤).

على الإخلاص وتوابعه، وهي التي توجد كثيرًا في كلام السلف المتقدمين، وقد ذكرنا أن النية في كلام النبي ﷺ وسلف الأمة إنما يراد بها هذا المعنى الثاني غالبًا»[1].

» **النية عند الفقهاء:**

قصد الشيء مقترنًا بفعله؛ طلبًا لرضا الله وامتثالاً لأمره، فإن تراخى الفعل سمي القصد: عزمًا.

نقل السيوطي عن البيضاوي: «النية عبارة عن انبعاث القلب نحو ما يراه موافقًا من جلب نفع أو دفع ضرر حالاً أو مآلاً، والشرع خصصه بالإرادة المتوجهة نحو الفعل لابتغاء رضا الله تعالى، وامتثال حكمه»[1].

فهي القصد الكلي الشامل للعزم، والقصد المقارن للفعل.

» **والنية عند الفقهاء لها أحكام كثيرة،** عدها بعضهم سبعة في قوله:

سَبْعُ شَرَائِطٍ أَتَتْ في نِيّةٍ تَكْفِي لِمَنْ حَاولها بلا وَهَن

حقيقةٌ حكمٌ محلٌ وَزَمَن كيفيةٌ شَرْطٌ وَمَقْصُودٌ حَسَن

(١) «جامع العلوم والحكم» (١/٦٥، ٦٦).

(١) «الأشباه والنظائر» للسيوطي (١/١١٢).

فحقيقتها لغة: القصد، **واصطلاحًا**: قصد الشيء مقترنًا بفعله.

وحكمها: الوجوب، على تفصيل يطلب في كتب الفروع.

والمراد بوجوبها أنه لابد منها في الاعتداد بالعبادات لا أن تركها موجب للعقاب؛ وإلا لكان المراد بالوجوب قاصرًا على نية الفرض، في حين أن المراد ما هو أعم من الفرض والنفل.

ومحلها: القلب.

ووقتها: أول العبادات أو قبل الشروع فيها كما في صيام الفرض، على تفصيل في كتب الفقه.

وكيفيتها: تختلف باختلاف الأبواب بحسب المنْوي.

وشرطها:

١- إسلام الناوي. ٢- تمييزه. ٣- علمه بالمنْوي.

٤- عدم إتيانه بما ينافيها بأن يستصحبها حكمًا.

ومقصودها: تمييز العبادة من العادة، وتمييز العبادات عن بعضها البعض.

» **فإن قيل: ما الحكمة من الجمع في قوله ﷺ: «النيات»؟**

فالجواب: هذا من باب مقابلة الجمع (الأعمال) بالجمع (النيات) المقتضي القسمة آحادًا؛ فيفيد أن لكل عمل نيته[1].

---

(١) انظر «فتح الباري» (١/٣٤-٣٥).

» **والدليل على أن لكل عمل نية**: جواز الاستثناء، فهو معيار العموم، فيصح أن تقول: لكل عمل نية إلا كذا وكذا.

كما أن الجمع هنا يفيد أيضًا الإشارة إلى تنوع النيات كما تتنوع الأعمال؛ لأن المصدر إذا اختلفت أنواعه جُمِع، كالعلم يُجمع على علوم.

وهذا التنوع في النيات كمن قصد بعمله وجه الله، أو تحصيل موعوده ﷻ، أو اتقاء وعيده ﷻ[1].

» **فإن قيل: وردت «النية» في معظم ست روايات من «الصحيح» مفردة هكذا.. فما الحكمة؟**

فالجواب: جاءت «النية» مفردة في معظم ست روايات **لأسباب منها**:

١- لأنها مصدر، والأصل في المصدر ألا يُجْمَع.

٢- ولأن محلها القلب وهو مفرد فناسب إفرادها، بخلاف الأعمال، فإنها متعلقة بالظواهر والجوارح وهي متعددة فناسب جمعها[1].

٣- ولأن النية ترجع إلى الإخلاص وهو واحد للأحد جل وعلا[2].

٤- ولأن «النية» لفظ مفرد محلى بـ (أل) فيعم.

---

(١) المصدر السابق.

(١) «فتح الباري» (١/٣٠-٣٥).

(٢) المصدر السابق.

النية في القرآن:

النية لم ترد في القرآن بلفظها أو مادتها.

وإنما وردت مادة الإرادة نحو قوله تعالى: ﴿مِنكُم مَّن يُرِيدُ مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْأَخِرَةَ﴾ [آل عمران:١٥٢]، وقوله ﴿وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْأَخِرَةَ﴾ [آل عمران:١٥٢]، وقوله سبحانه: ﴿مَّن ٱلْأَخِرَةَ﴾ [آل عمران:١٥٢]، وقوله سبحانه: ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ﴾ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ﴾ [الإسراء:١٨]. وقال لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ﴾ [الإسراء:١٨]. وقال تعالى: ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾ [الأنعام:٥٢]، وقال: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾ [الكهف:٢٨].

وبلفظ الابتغاء نحو: ﴿إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [الليل:٢٠]، وقوله تعالى: ﴿وَمَا رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [الليل:٢٠]، وقوله تعالى: ﴿وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وقوله تعالى: ﴿وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة:٢٧٢] إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة:٢٧٢] وقال تعالى: ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ٱللَّهِ﴾ [البقرة:٢٧٢] وقال تعالى: ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾

﴿ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوۡفَ نُؤۡتِيهِ أَجۡرًا عَظِيمًا﴾ [النساء:١١٤].

﴿ٱللَّهِ فَسَوۡفَ نُؤۡتِيهِ أَجۡرًا عَظِيمًا﴾ [النساء:١١٤].

﴿أَجۡرًا عَظِيمًا﴾ [النساء:١١٤].

» **النية في السنة:**

قد وردت النية كثيرًا بلفظها ومادتها في السنة.

ففي مسلم من حديث أم سلمة عن النبي ﷺ قال: «**يعوذ عائذ بالبيت..**» الحديث وفيه «**ولكنه يبعث يوم القيامة على نيته**»(١).

وحديث زيد بن ثابت عن النبي ﷺ قال: «**من كانت الدنيا همَّه فرق الله عليه أمره، وجعل فقره بين عينيه، ولم يأته من الدنيا إلا ما كتب له، ومن كانت الآخرة نيته؛ جمع الله له أمره، وجعل غناه في قلبه، وأتته الدنيا وهي راغمة**»(٢).

ووردت أيضًا بلفظ الابتغاء.

ففي الصحيحين من حديث سعد بن أبي وقاص عن النبي ﷺ: «**إنك لن تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله إلا أُثِبْتَ عليها،**

---

(١) أخرجه مسلم (٢٨٨٢) من حديث أم سلمة رضي الله عنها.

(٢) أخرجه أحمد (٢١٥٩٠)، وفي «الزهد» (ص٣٣)، وابن ماجه (٤١٠٥) وابن حبان (٦٧) مختصرًا وابن أبي الدنيا في «ذم الدنيا» (٣٥٢).
وانظر «الصحيحة» (٩٥٠) ط. دار المعارف.

حتى اللقمة تجعلها في فيّ[١] **امرأتك**»[٢].

» **إعراب «إنما الأعمال بالنيات»:**

إنما: كافة ومكفوفة.

الأعمال: مبتدأ.

بالنيات: خبر من جار ومجرور متعلق بمحذوف.

» **اختلف العلماء في التقدير الذي تعلق به الخبر (بالنيات) على أقوال:**

القول الأول: أن التقدير هو: الأعمال (واقعة أو حاصلة أو كائنة) بالنيات، فيكون إخبارًا عن الأعمال الاختيارية أنها لا تقع إلا عن قصد من العامل، وهو سبب عملها ووجودها، ويكون قوله ﷺ: «**وإنما لكل امرئ ما نوى**» إخبارًا عن حكم الشرع، وهو أن حظ العامل من عمله بحسب نيته، فإن كانت صالحة فعمله صالح ومثاب عليه، وإن كانت طالحة فعمله فاسد ولا يثاب عليه.

وهذا ظاهر كلام أحمد رحمه الله[٣].

---

(١) أي فم.

(٢) أخرجه البخاري (٥٦، ١٢٩٥، ٢٧٤٢، ٢٧٤٤) وفي مواضع أخر، ومسلم (١٦٢٨).

(٣) انظر: «جامع العلوم والحكم» (٥٠/١) ط. دار ابن الجوزي.

فالأعمال هنا على عمومها لا يخص منها شيء.

القول الثاني: أن التقدير هو: الأعمال (كاملة) بالنيات.

واختاره أبو حنيفة رحمه الله؛ وعليه فلم يشترط أبو حنيفة النية في الأعمال التي هي من جنس الوسائل كالوضوء، لا المقاصد كالصلاة.

القول الثالث: **أن التقدير هو**: الأعمال (صحيحة أو معتبرة أو مجزِئَة أو مقبولة) بالنيات.

وهذا قول كثيرين من الحنفية والشافعية.

وجاء التقدير بالصحة لأسباب، منها:

أ- لأنها أكثر لزومًا وقربًا من الحقيقة، والأصل في الكلام الحقيقة.

ب- ولأن الصحة متى وجدت لزم وقوع العمل وحصوله ابتداءً، من غير عكس.

جـ- ولأن الصحة متى وُجدت أمكن وجود الكمال.

فهي (أي الصحة) أقرب خطورًا بالبال عند إطلاق اللفظ.

ويلاحظ أن قوله ﷺ: «**إنما الأعمال بالنيات**» على تقدير الصحة: أكثريّ أغلبي لا كليّ؛ إذ قد يصح العمل بلا نية كالأذان والذكر؛ لأنهما لا يقعان إلا طاعةً، ولأنهما خير من السكوت المجرد عن الفكر والقراءة. كما يصح الترك بدون النية كترك الزنا، وكذلك يصح ما كان من قبيل الترك مثل: إزالة النجاسة ورد الأمانات.

وعلى هذا فالأعمال المذكورة في القول الثاني والثالث السابقين هي الأعمال الشرعية المفتقرة إلى النية، فلا يصح عمل كالوضوء - عند الأئمة الثلاثة خلافًا لأبي حنيفة - وكالتيمم - خلافًا للأوزاعي- وصوم رمضان في الحضر- خلافًا لعطاء- إلا بنية.

فليس المراد نفي ذات العمل؛ لأنه قد يوجد بغير نية، بل المراد نفي أحكامه كالصحة والكمال.

لكن الحمل على نفي الصحة أولى من الحمل على نفي الكمال؛ لأن نفي الصحة أشبه بنفي الشيء نفسه، ولأن اللفظ دل على نفي الذات بالتصريح، وعلى نفي الصفات بالتبع، فلما مَنَعَ الدليلُ نَفْيَ الذات، بقيت دلالته على نفي الصفات مستمرة.

القول الرابع: أن التقدير هو: الأعمال (صالحة أو فاسدة، مقبولة أو مردودة، مثاب عليها أو معاقب عليها) بالنيات الباعثة.

فيكون خبرًا عن حكم شرعي، وهو أن صلاح الأعمال وفسادها بحسب صلاح النيات وفسادها.

ويكون قوله ﷺ: «**وإنما لكل امرئ ما نوى**» دالاً على أن الثواب بحسب النية الصالحة، وأن العقاب بحسب النية الفاسدة.

فهو إخبار عن أنه لا يحصل للعامل من عمله إلا ما نواه به.

» **فإن قيل: لماذا احتيج إلى تقدير محذوف؟**

فالجواب: لأن ظاهر الحديث نفي ذات الأعمال الخالية عن النية مع أن الأعمال موجودة، فكأنه قال: لا عمل إلا بنية، فلم يبق مع وجود الأعمال إلا تقدير محذوف يصح معه الكلام، فينصرف النفي إلى الأحكام المتعلقة بوجود الأعمال لا إلى ذواتها؛ لأن الذات إذا وُجدت لا ترتفع؛ لأجل هذا احْتِيج إلى التقدير.

القول الخامس: أنه لا حاجة إلى تقدير، وهذا على معنى أن النفي المتضمَّن في أسلوب الحصر متجه إلى الحقيقة الشرعية، بناءً على أن الصلاة -مثلاً- المختلّة بافتقاد ركن النية أو شرط النية لا تُسمى صلاةً.

ورجّح هذا المعنى السراج البلقيني ومعه كثير من الشافعية بناءً على أن مدخول النفي هو الأعمال الشرعية التي لم تستكمل بعض شرائطها أو أركانها (وهي النية)، فتقع ممنوعًا منها، والممنوع منه شرعًا كالمعدوم حسًّا.

فائدة جليلة في ارتباط الأعمال بالنيات:

المقصود بالأعمال في قوله ﷺ: «**إنما الأعمال بالنيات**»: أعمال المؤمنين المكلفين، وهي تدور بين الطاعات والمباحات والمعاصي.

ويمكن تقسيم ارتباط هذه الأعمال بالنية إلى أحد عشر قسمًا:

القسم الأول: عمل الخير التابع لنية الخير.

القسم الثاني: عمل الشر التابع لنية الشر.

القسم الثالث: عمل الخير التابع لنية الشر.

القسم الرابع: عمل الشر التابع لنية الخير.

القسم الخامس: عمل الخير الواقع مع الغفلة أو عدم الوعي.

القسم السادس: عمل الشر الواقع مع الغفلة أو عدم الوعي.

القسم السابع: عمل المباح التابع لنية الخير.

القسم الثامن: عمل المباح التابع لنية الشر.

القسم التاسع: عمل المباح الواقع مع الغفلة أو عدم الوعي.

القسم العاشر: نية الخير التي لم يتبعها عمل.

القسم الحادي عشر: نية الشر التي لم يتبعها عمل.

وهاك تفصيل هذه الأقسام:

القسم الأول: عمل الخير التابع لنية الخير:

مثاله: الطاعات التي تقع صحيحة مستكملة لشرائطها وأركانها، موافقة للسنة، وقد بعثت عليها نية صالحة خالصة لوجهه تعالى.

قال تعالى: ﴿**لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا**﴾ [الملك:٢] أي: أخلصه وأصوبه، والخالص ما كان لله ﷻ، والصواب ما كان على السنة.

ومن هنا قال بعضهم: إنما تفاضلوا بالإرادات، ولم يتفاضلوا بالصوم والصلاة.

وعن ابن المبارك قال: «رب عمل صغير تُعَظِّمُهُ النية، ورب عمل كبير تصغِّره النية».

وعن داود الطائي قال: «رأيت الخير كله إنما يجمعه حسن النية، وكفاك به خيرًا وإن لم تنصب».

وقد غفر الله لبَغِيٍّ في سُقْيا كلب[1].

وعن يحيى بن أبي كثير قال: «تعلموا النية، فإنها أبلغ من العمل»[2].

القسم الثاني: عمل الشر التابع لنية الشر:

مثاله: المعاصي التابعة للنية السيئة من تحصيل شهوة محرَّمة، وإنفاذ غضب أو غلٍ أو حقدٍ أو ظلم، وكذلك غلبة الشبهات على القلب مما يؤدي إلى الانحراف في المعتقدات والأعمال.

القسم الثالث: عمل الخير التابع لنية الشر:

وهذا باطل وفاسد ومُعاقَب عليه،كمن تصدق وقاتل وتعلّم رياءً وعلّم لا يريد بذلك وجه الله، فهو في النار، بل هو من أول من تسعر بهم النار؛ فعن أبي هريرة ﷺ قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن**

(١) أخرجه البخاري (٣٣٢١، ٣٤٦٧)، ومسلم (٢٢٤٥) من حديث أبي هريرة ﷺ.
(٢) ذكر ذلك كله ابن رجب في «جامع العلوم والحكم» (١/٣٤-٣٥).

أول الناس يقضى يوم القيامة عليه رجل استشهد، فأتي به فعَرَّفه نعمَهُ فعَرَفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: قاتلت فيك حتى استشهدت. قال: كذبت، ولكنك قاتلت لأن يقال: جريء، فقد قيل. ثم أمر به، فسحب على وجهه، حتى ألقي في النار، ورجل تعلم العلم وعلمه، وقرأ القرآن، فأتي به، فعرّفه نعمَهُ فعرَفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: تعلمت العلم وعلمته، وقرأت فيك القرآن، قال: كذبت، ولكنك تعلمت العلم؛ ليقال: عالم، وقرأت القرآن؛ ليقال: هو قارئ، فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار، ورجل وسّع الله عليه، وأعطاه من أصناف المال كلِّه، فأتي به فعرّفه نعمه فعرَفها، قال: فما عملْت فيها؟ قال: ما تركت من سبيل تحب أن ينفق فيها إلا أنفقت فيها لك. قال: كذبت، ولكنك فعلت؛ ليقال: هو جَوَاد، فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه ثم ألقي في النار»[1].

ومثل ذلك حال أهل النفاق -والعياذ بالله- فيما يأتون مما ظاهره أعمال البر والطاعات. قال الله تعالى: ﴿**إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ ۘ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ۝١ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ۝٢ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ۝٣**﴾

(١) أخرجه مسلم (١٩٠٥)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

لَرَسُولُ ٱللَّهِ ۘ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ﴾ [المنافقون:١] ﴿يَعۡلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ﴾ [المنافقون:١] ﴿لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ﴾ [المنافقون:١] ﴿يَشۡهَدُ إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ﴾ [المنافقون:١] وذلك لأنهم ﴿ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ﴾ [المنافقون:١] وذلك لأنهم يقولون ﴿لَكَٰذِبُونَ﴾ [المنافقون:١] وذلك لأنهم يقولون بأفواههم ما لا يقولون بأفواههم ما لا يعتقدون بقلوبهم.

القسم الرابع: عمل الشر التابع لنية الخير:

فهذا شر ومعصية يحاسَب ويعاقَب عليها العبد، فمن سرَق ليتصدق أَثِمَ وقُطِعَتْ يده، ومن غصب أرضًا ليبني مسجدًا لم ينفعه ذلك؛ لأن الله طيب لا يقبل إلا طيبًا.

وإذا كانت الطاعات تبطل بوقوع المعاصي بعدها، فكيف إذا قارنتها أو كانت أصلاً لها؟!

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبۡطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلۡمَنِّ وَٱلۡأَذَىٰ كَٱلَّذِي يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ﴾ [البقرة:٢٦٤].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبۡطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلۡمَنِّ وَٱلۡأَذَىٰ كَٱلَّذِي يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ﴾ [البقرة:٢٦٤].

﴿مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ﴾ [البقرة:٢٦٤].
﴿ٱلنَّاسِ﴾ [البقرة:٢٦٤].

فالنيات لا تؤثر في المعاصي فتقلبها إلى طاعات؛ بل تبقى معاصي وإن نوى الخير، غاية الأمر أن عقاب تلك المعصية دون عقاب المعصية في القسم الثاني لانتفاء قصد الشر وتعمده.

القسمان الخامس والسادس

عمل الخير والشر مع الغفلة أو عدم الوعي:

فهذا لا ثواب ولا عقاب فيه، فحيث لا نية فالعمل في حكم العدم.

ومثاله ما أتلفه من رُفِعَ عنهم القلم كالصغير والمجنون والنائم فلا إثم عليهم، وفي أموالهم الضمان.

ومثل ترك المعاصي خوفًا من أضرارها الصحية فحسب، فهذا لا ثواب فيه.

القسم السابع: عمل المباح التابع لنية الخير:

فهذا يثاب عليه، فمن أكل ليتقوى على الطاعة والعبادة أُثيب، ومن نام ليقوم الليل أثيب على هذه النومة.

عن زُبَيد اليامي قال: «إني لأحب أن تكون لي نية في كل شيء حتى في الطعام والشراب».

وعنه أنه قال: «انْوِ في كل شيء تريده الخير، حتى خروجك إلى الكُناسَة[١]»، ومثل ذلك قضاء الشهوة قال رسول الله ﷺ: «**وفي بُضع أحدكم صدقة**»[٢].

ومن تطيَّب يريد بذلك ترويح من يلقاه وجذْب مودة الناس أُثيب، وكذا التوسعة في النفقة على العيال، إحسانًا إليهم وإكرامًا لهم.

القسم الثامن: عمل المباح بنية سوء:

فهذا وبالٌ على صاحبه، ويُعاقَب عليه.

فمن تطيب إظهارًا للتفاخر، أو تودُّدًا إلى النساء غير المحارم كان إثمه عليه، ووزره في رقبته.

ويشهد للقسمين السابع والثامن قوله عليه الصلاة والسلام: «**وإنما لكل امرئ ما نوى**».

القسم التاسع: عمل المباح مع الغفلة أو عدم الوعي

فلا ثواب ولا عقاب عليه، إلا أن صاحبه يُسأل عنه يوم القيامة من أين اكتسبه وفيمَ أنفقه.

فإن كان ذلك من مباح وفي مباح: فلا ثواب ولا عقاب «**وإنما لكل امرئ ما نوى**».

---

(١) «جامع العلوم والحكم»، (٣٤/١).

(٢) أخرجه مسلم (١٠٠٦) من حديث أبي ذر الغفاري رضي الله عنه.

وإن كان قد قيل: إنه ينقص من نعيمه الأخروي بقدر تنعمه به في الدنيا.

القسم العاشر: نية الخير التي لم يتبعها عمل

إن كانت جازمة أُثِيبَ العبد عليها، وفي الحديث الشريف: «**فمن همَّ بحسنةٍ فلم يعملها كتبها الله له عنده حسنة كاملة**»(١). وأيضًا قوله ﷺ: «**إن بالمدينة أقوامًا ما سِرْتُم مَسيرًا ولا قطعتم واديًا إلا كانوا معكم**» قالوا: يا رسول الله، وهم بالمدينة؟! قال: «**وهم بالمدينة؛ حبسهم العذر**»(٢)، وفي الحديث الشريف أيضًا: «**إذا مرض العبد أو سافر كُتب له مثلُ ما كان يعمل مقيمًا صحيحًا**»(٣).

القسم الحادي عشر: نية الشر التي لم يتبعها عمل

لا يعاقب عليها العبد بل يثاب على عدم إنفاذها إذا كان لمخافة الله.

وفي الحديث: «**ومن هم بسيئة فلم يعملها كتبها الله له عنده حسنة كاملة**»(٤).

---

(١) أخرجه البخاري (٦٤٩١)، ومسلم (١٣١) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.
(٢) أخرجه البخاري (٢٨٣٨، ٢٨٣٩، ٤٤٢٣)، من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.
(٣) أخرجه البخاري (٢٩٩٦) من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه.
(٤) متفق عليه واللفظ للبخاري (٦٤٩١) وتقدم.

مسألة مهمة في أثر الرياء على العمل:

الرياء -أعاذنا الله منه- أقسام ودركات ينبغي لكل مسلم أن يعرف هذه الأقسام؛ ليحذر منها، **وهي على النحو الآتي**:

١- **أن يكون العمل رياء محضًا**، ولا يراد به إلا مراءاة المخلوقين، كحال المنافقين: ﴿ **وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلٗا** ﴾ [النساء: ١٤٢]، وهذا الرياء المحض لا يكاد يصدر من مؤمن في فرض الصلاة والصيام، وقد يصدر في الزكاة أو الحج، وغيرهما من الأعمال الظاهرة، وهذا العمل لاشك في بطلانه، وأن صاحبه يستحق المقت والعقوبة من الله.

٢- **أن يكون العمل لله ويشاركه الرياء من أصله** - أي من أوله إلى آخره - فالنصوص الصحيحة تدل على بطلانه وحبوطه أيضًا، وعدم الانتفاع به.

٣- أن يكون العمل لله ثم طرأ عليه الرياء في أثنائه:

فإن كان خاطرًا فدفعه لم يضره؛ لحديث: «**إن الله تجاوز لأمتي ما حدَّثتْ به أنفسَها ما لم يتكلموا أو يعملوا به**»(١).

أما إن استرسل معه فهذا العمل لا يخلو من حالتين:

الحالة الأولى: أن لا يرتبط أول العمل بآخره، كتعليم العلم، وقراءة القرآن، وإخراج الصدقات، فالواجب عندئذ قطع العمل وتجديد النية، وإلا حبط ما استُرسل فيه، مثال ذلك: إنسان عنده عشرون درهمًا يريد أن يتصدق بها، فتصدق بعشرة خالصة لله، ثم طرأ عليه الرياء في العشرة الباقية، ولم يدفع الرياء ولم يجدد النية فيها، بل استرسل مع الرياء فالصدقة الأولى صحيحة مقبولة، والثانية صدقة باطلة لاختلاط الرياء فيها بالإخلاص.

الحالة الثانية: أن يرتبط أول العمل بآخره كالصلاة، فتبطل جميع العبادة على الصحيح؛ لأن أولها مرتبط بآخرها، مثال ذلك من ابتدأ الصلاة مخلصًا بها لله تعالى، ثم طرأ عليه الرياء في الركعة الثانية، واسترسل معه إلى نهاية صلاته، ولم يدافعه؛ فتبطل الصلاة كلها لارتباط أولها بآخرها(٢).

---

(١) أخرجه البخاري (٢٥٢٨، ٥٢٦٩، ٦٦٦٤)، ومسلم (١٢٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه واللفظ لمسلم.

(٢) انظر هذه الأقسام بالتفصيل في: «جامع العلوم والحكم» لابن رجب (٤٥/١-٥١) و«فتح المجيد» (ص٤٣٨)، و«فتاوى ابن عثيمين» (٢٩/٢).

٤- **أن يكون الرياء بعد الانتهاء من العبادة.** إذا ورد على العبد وارد الرياء، «فلا يخلو: إما أن يكون ورد بعد فراغه من العبادة أو قبله، فإن ورد عليه بعد الفراغ سرور بالظهور من غير إظهار منه، فهذا لا يحبط العمل؛ لأنه قد تم على نعت الإخلاص فلا ينعطف ما طرأ عليه بعده، لا سيما إذا لم يتكلف هو إظهاره والتحدث به، فأما إن تحدث به بعد تمامه وأظهره، فهذا مخوف، والغالب عليه أنه كان في قلبه وقت مباشرة العمل نوع رياء، فإن سلم من الرياء نقص أجره، فإنَّ بين عمل السر والعلانية سبعين درجة»[(١)].

» وأما إذا عمل المسلم العمل لله خالصًا، ثم ألقى الله الثناء الحسن في قلوب المؤمنين بذلك، ففرح بفضل الله ورحمته، واستبشر بذلك لم يضره ذلك، فعن أبي ذر رضي الله عنه قال: قيل لرسول الله ﷺ: أرأيت الرجل يعمل العمل من الخير ويحمدهُ الناس عليه، قال: «**تلك عاجل بُشرى المؤمن**»[(٢)].

» **تذييل:**

قال أحمد رحمه الله فيمن يأخذ جُعلاً على الجهاد: «إذا لم يخرج لأجل الدراهم، فلا بأس أن يأخذ، كأنه خرج لدِينه، فإن

---

(١) «مختصر منهاج القاصدين» (ص٢٤٠-٢٤١).

(٢) أخرجه مسلم (٢٦٤٢)، من حديث أبي ذر رضي الله عنه.

أُعطي شيئًا أخذه»[(١)].

وقال أيضًا: «التاجر والمستأجر والمُكاري أجرهم على قدر ما يخلص من نيتهم في غزاتهم، ولا يكون مثل من جاهد بنفسه وماله لا يخلط به غيره»[(٢)].

وفي الحديث الشريف قال رسول الله ﷺ: «**ما من غازية تغزو في سبيل الله فيصيبون الغنيمة، إلا تعجَّلوا ثلثيْ أجرهم من الآخرة، ويَبقى لهم الثلُثُ، وإن لم يصيبوا غنيمةً تَمّ لهم أجرُهم**»[(٣)].

❁ **قوله ﷺ: «وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى».**

«**وإنما**»:

تقدم شرحها بالتفصيل.

«**لكل**»:

» اللام هنا بمعنى على، مثل قول الله تعالى: ﴿**وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا**﴾ [الإسراء:٧] أي عليها.

» «كل»: اسم موضوع لاستغراق أفراد المُنَكَّر، نحو: ﴿**كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ**﴾ [آل عمران:١٨٥].

---

(١) «جامع العلوم والحكم» (١/٥٠).

(٢) المرجع السابق.

(٣) أخرجه مسلم (١٩٠٦) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.

﴿ٱلْمَوْتِ﴾ [آل عمران:١٨٥].

وكذلك لاستغراق أجزاء المعرَّف، نحو: أكلتُ كُلَّ الرغيف.

فيصح قولك: كل رُمَّانٍ مأكول، ولا يصح أن تقول كل الرُّمَّان مأكول؛ لأن قشره لا يؤكل.

«**امرئ**»:

رجل أو شخص أو إنسان، وقد يُخَصُّ بالرجل لشرفه وغلبة دوران الأحكام عليه.

ولفظ «امرئ» لا جمع له من لفظه، وفيه لغتان: امْرُؤٌ[1] ومرء (بتثليث الميم)، والتأنيث: امْرَأَةٌ ومَرْأَةٌ ومَرَةٌ، وقال سيبويه: وقد قالوا: مَرَاة وذلك قليل[2].

» ولفظ (امرئ) في الحديث يشمل الذكر والأنثى، فالمقصود الإنسان.

«**ما**»:

اسم موصول بمعنى الذي.

«**نوى**»:

صلة الموصول، والعائد محذوف تقديره: ما نواه من خير أو شر.

---

(١) في «امرئ» مع ألف الوصل ثلاث لغات: فتح الراء دائمًا (امْرَأ) وضمها دائمًا (امرؤ)، وإعرابها دائمًا، انظر: «لسان العرب» (١٥٦/١). وقد وقعت هنا في الحديث الشريف مجرورة بالإضافة بعد «كل».

(٢) انظر: «لسان العرب» (١٥٦/١)، و«النهاية» (٣١٤/٤).

» **فإن قيل: ما فائدة قوله ﷺ: «وإنما لكل امرئ ما نوى» بعد قوله ﷺ: «إنما الأعمال بالنيات»؟**

فالجواب: في ذلك خمسة وجوه:

الوجه الأول: تفيد تأكيد الجملة الأولى، فذكر ﷺ الحكم بالأولى، وأكده بالثانية؛ تنبيهًا على شرف الإخلاص وتحذيرًا من الرياء المانع من الإخلاص.

ولكن يَرِد على هذا القول أن الإفادة خير من الإعادة، والتأسيس خير من التكرير.

الوجه الثاني: يقال إن الجملة الأولى دلَّت على أن العمل لا يكون معتبرًا إلا بالنية المقتضية لإيجاده؛ فصلاح العمل وصحته وفساده بحسب النية المقتضية لإيجاده.

والجملة الثانية دلت على أن ثواب العامل وعقابه بحسب نيته التي بها صار العمل صالحًا أو فاسدًا أو مباحًا، فهي تفيد أن الإنسان يعود عليه من نفع عمله أو ضرره بحسب نيته.

قال العز بن عبد السلام رحمه الله: «الجملة الأولى لبيان ما يعتبر من الأعمال، والثانية بيان ما يترتب عليها»[1].

الوجه الثالث: أن الجملة الأولى على ما ذُكر في القول الثاني.

---

(١) «قواعد الأحكام» (٢٧/١).

وأما الجملة الثانية:

١- فإما أن تفيد تخصيص الألفاظ بالنية في الزمان والمكان، وإن لم يكن في اللفظ ما يقتضيه، كمن حلف لا يكلم فلانًا، وأراد في شهر كذا أو بمكان كذا، فله ما نواه.

وهذا على اعتبار أن القصر بـ «إنما» أفاد قصر الصفة على الموصوف، أي أن ما يكون لكل امرئ مقصورٌ على ما نواه، لا يتجاوز إلى أن يكون صفة لما لم ينوه أو لما نواه له غيره.

٢- أو أن الجملة الثانية تفيد منع الاستنابة في النية؛ إذ لو نوى أحدٌ عن غيره لصدق عليه أنه عمل بنية غيره.. فأفادت الجملة الثانية منع ذلك (وتستثنى مسائل مما وردت النصوص بجوازه كنية الحاج عن غيره ونية الحاكم في أخذ الزكاة كَرْهًا).

٣- وقيل: تفيد اشتراط تعيين المنْوي.

قال النووي: «قالوا: فائدة ذكره بعد «إنما الأعمال بالنية» بيان أن تعيين المنوي شرط، فلو كان على إنسان صلاة مقضية لا يكفيه أن ينوي الصلاة الفائتة بل يشترط أن ينوي كونها ظهرًا أو غيرها، ولولا اللفظ الثاني لا قتضي الأول صحة النية بلا تعيين، أو أوهم ذلك»[1].

وكأنه استنبط ذلك من (ما) الموصولة؛ لأنها من المعارف

---

(١) «شرح صحيح مسلم» للنووي (٥٤/١٣).

فتفيد التعيين.

قال العز: «وأفاد أن النية إنما تشترط في العبادة التي لا تتميز بنفسها، وأما ما يتميز بنفسه فإنه ينصرف بصورته إلى ما وُضع له، كالأذكار والأدعية والتلاوة؛ لأنها لا تتردد بين العبادة والعادة»[١].

» **مسألة**: هل التسبيح عند حدوث ما يُتَعَجب منه يُعَدُّ من العبادة؟!

والجواب: إذا سبق عُرْفٌ بأنه عادة احتاج إلى نية حتى يكون عبادة، وإلا فلا.

الوجه الرابع: أن الجملة الثانية دلت على أن الأعمال العادية المباحة التي لا تتوقف على النية قد يثاب عليها العبد إذا نوى بها القربة، كالأكل والشرب إذا نوى بهما التقوي على طاعة الله تعالى، والوطء للتعفف عن الفاحشة «**وفي بُضْعِ أحدكم صدقة**»[٢]، ومثل التطيب إذا أراد به إقامة السنة، والتنظف إذا أراد به دفع الأذى عن غيره لا مجرد استيفاء اللذات.

الوجه الخامس: دلت الجملة الثانية على أنه من نوى شيئًا حصل له ثوابه، وإن لم يعمله لمانع شرعي، كمن اعتاد الجماعة

---

(١) «فتح الباري» (٣٩/١).

(٢) تقدم تخريجه.

ثم مرض، ومن نوى الجهاد ثم حبسه العذر، ونحو ذلك.

وفي السنة ما يشهد لذلك المعنى، وقد تقدم.

» **مسألة: هل قوله: «وإنما لكل امرئ ما نوى» يتناول الترك؟**

والجواب: الترك فعل عند بعض أهل العلم.

والتحقيق: التفريق بين الترك وبين كف النفس، فمن لم يفعل المعصية مع قدرته عليها ووجود دواعيها تقربًا إلى الله يثاب ويدخل في عموم «**وإنما لكل امرئ ما نوى**»، وأما من لم يفعلها لأنها لم تخطر بباله فليس كالأول.

فوائد:

١- قوله «**وإنما لكل امرئ ما نوى**» يفيد عدم مؤاخذة الناسي والمخطئ؛ لأنهما لم يقصدا الفعل، هذا مع التفريق بين الأحكام الشرعية التكليفية والأحكام الوضعية كضمان المتلَفات، فإن المتلفات مضمونة؛ لأن حكم الضمان تعلُّقه بذات المال أقوى من تعلّقِه بالنية.

٢- لا تصح العبادة من المجنون؛ لأنه ليس من أهل النية «**وإنما لكل امرئ ما نوى**». كما لا يجب عليه حدٌّ أو قَوَدٌ[1]؛ لعدم توجه خطاب التكليف إليه.

---

(١) القَوَدُ: القصاص. «لسان العرب» (٣/٣٧٢)، و«القاموس المحيط» (١/٤٠٠).

٣- لا يجوز الإقدام على العمل قبل معرفة ما يتعلق به من أحكام؛ لقوله ﷺ: «**إنما الأعمال بالنيات**»؛ وذلك لأن القصد يستلزم العلم بالمقصود.

❁ **قوله ﷺ: «فَمَن كَانَتْ هِجْرتُهُ إِلَى الله وَرَسُولِهِ فَهِجْرتُهُ إِلَى الله وَرَسُولِهِ»:**

«**فَمَنْ**»:

» **هناك قولان في الفاء:**

القول الأول: أن الفاء واقعة في جواب شرط مقدر، تقديره: وإذا كان لكل امرئ ما نوى فمن كانت... إلخ.

القول الثاني: أنها عاطفة للمفصَّل على المُجمل؛ لأن هذا تفصيل لما سبق إجمالاً وفيه زيادة بيان وتوضيح، وفيه تنبيه على سبب من أسباب ورود الحديث، وهو هجرة من هاجر لخطبة امرأة - إن قلنا بأن هذا هو سبب ورود الحديث-.

» «مَنْ»: إما أن تكون شرطية (اسم شرط جازم في محل رفع مبتدأ)، وإما أن تكون موصولة، وهي في محل رفع مبتدأ.

وحينئذ تكون جملة «**فهجرته إلى الله ورسوله**» جوابًا للشرط (على الفرض الأول)، أو تكون خبرًا (على الفرض الثاني).

«**كانت**»:

» يجوز أن تكون تامة بمعنى حصلت أو وُجدت، أي فمن

حصلت هجرته أو وُجدت.

ولكن الراجح اعتبارها ناقصة، وتكون الهجرة اسمها، وخبرها محذوف تقديره: فمن كانت هجرته (واقعة أو منسوبة) إلى الله.

«**هِجْرتُهُ**»:

» **الهِجْرَة**: لغةً: الترك، على وزن فِعْلَة من الهَجْر وهو ضد الوَصْل. والهجرة إلى الشيء: الانتقال إليه عن غيره[1].

وشرعًا: مفارقة دار الكفر إلى دار الاسلام خوف الفتنة وطلبًا لإقامة الدين، والهجرة من بلد الكفر إلى بلد الإسلام واجبة.

» وحقيقتها: مفارقة ما يكرهه الله إلى ما يحبه.

فيدخل في حقيقتها ترك المنكرات، وهجران الذنوب والسيئات، قال تعالى: ﴿**وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ**﴾ [المدثر: ٥].

«**إلى الله**»:

المقصود بالهجرة إلى الله: الهجرة إلى رسوله ﷺ والانتقال إليه؛ لأن معنى الانتقال إلى الله غير مقصود حسًّا، ويتصور الانتقال إلى محل قُرْبه المعنوي.

ومما يشبه ذلك قولهم: السير إلى الله تعالى.. ونحو ذلك.

---

(١) انظر: «لسان العرب» (٢٥٠/٥)، و«المغرب» (٣٧٨/٢)، و«النهاية» (٢٤٣/٥).

أو يكون ذكر «الله» هنا للتبرك، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ﴾ [الفتح:١٠]، فبيعة ومعاملة النبي ﷺ كبيعة الله ومعاملته. وقال الله تعالى: ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ﴾ [الأنفال: ٤١].

وعلى هذا فالمقصود من الهجرة هنا مطلق الانتقال والتجاوز من شيء إلى شيء سواء كان صوريًا أو معنويًا.

ويجوز أن تكون (إلى) بمعنى لام التعليل. أي: فمن كانت هجرته (لأجل) الله.. بدليل ذكرها في قوله ﷺ: «**ومن كانت هجرته لدنيا**».

ولقرن الرسول ﷺ مع الله تعالى بالواو حيث قال: «إلى الله ورسوله»، ولم يقل: ثم رسوله، فعن ابن عباس قال: سمع رسول الله ﷺ رجلًا يقول: ما شاء الله وشئت، فقال: «بل ما شاء الله وحده»[1]، فما الفرق؟

(١) أخرجه أحمد (١٨٣٩، ١٩٦٤، ٢٥٦١، ٣٢٤٧) وابن ماجه (٢١١٧)، والنسائي في

والجواب: أما ما يتعلق بالشريعة فيعبر عنه بالواو، لأن ما صدر عن النبي ﷺ من الشرع كالذي صدر من الله تعالى كما قال: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ﴾ وأما الأمور الكونية: فلا يجوز أن يقرن مع الله أحد بالواو أبدًا، لأن كل شيء تحت إرادة الله تعالى ومشيئته. فإذا قال قائل: هل ينزل المطر غدًا؟ فيقول الله ورسوله أعلم، فهذا خطأ؛ لأن الرسول ﷺ ليس عنده علم بهذا.

مسألة: وإذا قال: هل هذا حرام أم حلال؟ قيل في الجواب: الله ورسوله أعلم، فهذا صحيح؛ لأن حكم الرسول ﷺ في الأمور الشرعية حكم الله تعالى كما قال الله عز وجل: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ﴾ [النساء: ٨٠]»[1].

﴿فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ﴾ [النساء: ٨٠]»[1].

«**فَهِجْرتُهُ**»:

الفاء: واقعة في جواب الشرط لكونه جملة اسمية، أو خبرًا

=

«عمل اليوم والليلة» (٩٨٨) والطحاوي في «شرح مشكل الآثار» (٢٣٥)، والطبراني (١٣٠٠٠٦) والبيهقي (٢١٧/٣).

(١) شرح الأربعين النووية لابن عثيمين، (ص١٥، ١٦).

لمبتدأ لتضمُّنه معنى الشرط.

» **وفي هذا السياق النبوي الشريف مسائل:**

المسألة الأولى: ما مناسبة هذه العبارة لما قبلها؟

يجيب ابن رجب بقوله: «لما ذكر ﷺ أن الأعمال بحسب النيات، وأن حظ العامل من عمله نيتُه من خير أو شر، وهاتان كلمتان جامعتان، وقاعدتان كليتان، لا يخرج عنهما شيء، ذكر بعد ذلك مثالاً من أمثال الأعمال التي صورتها واحدة، ويختلف صلاحُها وفسادها باختلاف النيات، وكأنه يقول: سائر الأعمال على حَذو هذا المثال»[1].اهـ.

المسألة الثانية: الأصل تغاير الشرط والجزاء، والمبتدأ والخبر؛ وذلك لئلا يلزم تحصيل الحاصل، مثل قولك: من أطاع نجا، وإن تذاكر تنجح، فما السر في وقوعهما متحدَين هنا «**فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله، فهجرته إلى الله ورسوله**»؟

» **في الجواب على هذا السؤال وجوه:**

الوجه الأول: هو أن السياق مؤول على إقامة السبب مقام المسبَّب؛ لاشتهار السبب، فقوله عليه ﷺ: «**فهجرته إلى الله ورسوله**» أي: فله الثواب العظيم والأجر الجزيل بسبب الهجرة.

---

(١) «جامع العلوم والحكم» (٣٧/١).

الوجه الثاني: أن جملة «فهجرته إلى الله ورسوله» قد ذُكر فيها المبتدأ «فهجرته»، أما الخبر فمحذوف وليس هو شبه الجملة من حرف الجر (إلى) والمجرور (لفظ الجلالة «الله» «ورسوله»)، بل إن شبه الجملة من الجار والمجرور إنما هي متعلقة بالمبتدأ ودليل على الخبر وليس هو الخبر حقيقة، ويكون التقدير هو: فهجرته إلى الله ورسوله (مقبولة)... فالخبر هو (مقبولة) وهو محذوف.

الوجه الثالث: أن يقال: إن التغاير يقع تارة باللفظ، وتارة بالمعنى، ويُفهم ذلك من السياق.

وهو نظير قوله تعالى: ﴿**وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابًا**﴾ [الفرقان: ٧١].

فلا ضرر في هذا الاتحاد الوارد في الحديث؛ لأنه للمبالغة في التعظيم (أي تعظيم الهجرة والمهاجَر إليه)، ويكون المعنى: فهجرته إلى الله الذي يثيب الثواب الجزيل، ويعطي العطاء العميم.

أو كما قال ابن دقيق العيد رَحِمَهُ اللَّهُ: «من كانت هجرته إلى الله

ورسوله نية وقصدًا، فهجرته إلى الله ورسوله حكمًا وشرعًا»[١].

المسألة الثالثة: ما الحكمة من أن النبي ﷺ لم يقل: فهجرته إليهما. مع أن ذلك أخصر وأوجز، والأصل في الربط أن يكون بالضمير لكونه أخص، أو قال: فهجرته إلى من هاجر إليه؟

والجواب أنه لحكمتين:

الأولى: للاستلذاذ والتبرك بذكر اسم الله تعالى.

الثانية: لكراهة أن يجمع بين اسم الله واسم رسوله في ضمير واحد؛ لمنافاته للأدب الكامل.

وقد وقع منه ﷺ النهي عن ذلك والإنكار على من خطب فقال: «من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعصهما فقد غوى»، فقال ﷺ: «**بئس الخطيب أنت قل ومن يعص الله ورسوله فقد غوى**»[٢].

وإن كان قد ورد أنه ﷺ جمع بينهما فقال فيما أخرجه أبو داود من حديث ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان إذا تشهد... وفيه «**من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعصهما فإنه لا يضر إلاَّ نفسه، ولا يضر الله شيئًا**»[٣].

---

(١) «إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام» (١١/١).

(٢) أخرجه مسلم (٨٧٠) من حديث عدي بن حاتم رضي الله عنه.

(٣) أخرجه أبو داود (١٠٩٠، ٢١١٤) ط. عوامة.

ويجاب على ذلك بأنه كان لبيان الجواز، أو أن النبي ﷺ أنكر على الخطيب لجهله بما ينبغي لله من التعظيم، وبأسرار الكلام ودقائقه، أو أن إنكاره ﷺ محمول على ما قاله النووي من أن سبب الإنكار عليه أن الخطبة شأنها البسط والإيضاح واجتناب الإشارات والرموز، قال: ولهذا ثبت أن رسول الله ﷺ كان إذا تكلم بكلمة أعادها ثلاثًا حتى تفهم عنه[1]، وإنما ثنى الضمير في مثل قوله: «**أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما**»، لأنه ليس خطبة وعظ وإنما هو تعليم حكم فكل ما قل لفظه كان أقرب إلى حفظه بخلاف خطبة الوعظ فإنه ليس المراد حفظها وإنما يراد الاتعاظ بها. ولكن يرد عليه أنه قد وقع الجمع بين الضميرين منه ﷺ في حديث الباب[2] وهو وارد في الخطبة لا في تعليم الأحكام.

قال القاضي عياض وجماعة من العلماء: إن النبي ﷺ إنما أنكر على الخطيب تشريكه في الضمير المقتضي للتسوية وأمره بالعطف تعظيمًا لله تعالى بتقديم اسمه، كما قال ﷺ في الحديث الآخر: «**لا تقولوا ما شاء الله وشاء فلان، ولكن قولوا ما شاء**

---

(١) رواه البخاري (٩٤، ٩٥، ٦٢٤٤).

(٢) يعني حديث ابن مسعود المتقدم عند أبي داود (١٠٩٠، ٢١١٢) وفيه: «**من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعصهما فإنه لا يضر إلا نفسه ولا يضر الله تعالى شيئًا**».

الله ثم شاء فلان»[١].

ويرد على هذا ما قدمنا من جمعه ﷺ بين ضمير الله وضميره.

ويمكن أن يقال: إن النبي ﷺ إنما أنكر على ذلك الخطيب التشريك؛ لأنه فهم منه اعتقاد التسوية فنبهه على خلاف معتقده، وأمره بتقديم اسم الله تعالى على اسم رسوله؛ ليعلم بذلك فساد ما اعتقده[٢].

المسألة الرابعة: في أنواع الهجرة:

١- الهجرة من بلد الكفر إلى بلد الإسلام. وفي الحديث: «**لا هجرة بعد الفتح**»[٣].

٢- الهجرة من الذنوب إلى الطاعات. وفي الحديث: «**والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه**»[٤].

---

(١) رواه أحمد (٢٣٢٦٥، ٢٣٣٤٧، ٢٣٣٨١) وأبو داود (٤٩٤١) والنسائي في «عمل اليوم والليلة» (٩٨٥) والبيهقي في «السنن» (٢١٦/٣)، وفي «الأسماء والصفات» (٣٦٥/١-٣٦٦ رقم ٢٩٤)، وابن المبارك وفي «المسند» (١٠٨/١ رقم ١٨٠، ١٨٢) ط. دار المعارف.

(٢) نيل الأوطار للشوكاني (٣٢٥/٣، ٣٢٦) ط دار الفكر - المكتبة التجارية - مكة المكرمة .

(٣) أخرجه البخاري (٢٧٨٣) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما ، ومسلم (١٨٦٤) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٤) أخرجه البخاري (١٠، ٦٤٨٤) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما . قال ابن العربي: قسم العلماء رحمهم الله الذهاب في الأرض هربًا وطلبًا. فالأول ينقسم الى ستة أقسام:

=

المسألة الخامسة: هل الهجرة واجبة أو مستحبة؟:

الجواب: فيه تفصيل، إذا كان الإنسان يستطيع أن يظهر دينه وأن يعلنه وهو في مأمن، فالهجرة عندئذٍ مستحبة. وإن كان لا يستطيع فالهجرة واجبة وهذا هو الضابط للمستحب والواجب. وهذا يكون في البلاد غير المسلمة، أما في البلاد المسلمة التي تفشو فيها

=

الأول: الخروج من دار الحرب الى دار السلام وهي باقية الى يوم القيامة.

الثاني: الخروج من أرض البدعة. قال ابن القاسم: سمعت مالكًا يقول: لا يحل لأحد أن يقيم بأرض يسب فيها السلف.

الثالث: الخروج من أرض يغلب عليها الحرام.

الرابع: الفرار من الأذية في البدن .

الخامس: الخروج خوف المرض في البلاد الوخمة الى الأرض النزهة.

السادس: الخروج خوفًا من الأذية في المال.

وأما قسم الطلب فإنه ينقسم إلى عشرة:

طلب دين، وطلب دنيا، وينقسم إلى تسعة أنواع:

الأول: سفر العبرة، **الثاني**: سفر الحج، **الثالث**: سفر الجهاد، **الرابع**: سفر المعاش، **الخامس**: سفر التجارة والكسب الزائد على القوت، وهو جائز لقوله تعالى: ﴿**لَّيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُواْ فَضْلاً مِّن رَّبِّكُمْ**﴾، **السادس**: طلب العلم، **السابع**: قصد البقاع الشريفة، قال ﷺ: «**لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد**»، **الثامن**: قصد الثغور للرباط بها، **التاسع**: زيارة الإخوان في الله. باختصار من شرح الأربعين للنووي (ص١١، ١٢).

المعاصي ويجاهر بها: فإن خاف الإنسان على نفسه من أن ينـزلق فيما انزلق فيه أهل البلد فهنا الهجرة واجبة، وإلاَّ يخاف تكون غير واجبة؛ بل نقول: إن كان في بقائه إصلاح، فبقاؤه واجب؛ لحاجة البلد إليه في الإصلاح، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر[1].

❁ **قوله ﷺ: «وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ لِدُنْيَا يُصِيبُهَا أَوِ امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْه»:**

«**لدنيا**»:

» اللام: قيل للتعليل أو بمعنى (إلى). والتعليل أولى؛ لأن الدنيا هي سبب الهجرة وعلتها فناسب دخول اللام.

والقرآن فيه من التحذير من الدنيا، ومن فتنتها الشيء الكثير، وفي السنة مثل ذلك.

» الدنيا: بضم الدال على وزن (فُعلى) مقصورة غير منونة، وحكى ابن قتيبة وغيره كسر الدال فيقال «الدِّنيا» من الدنو وهو القرب؛ لسبقها الآخرة، أو لدنوها من الزوال، أو من الدناءة أي: الخسة[2].

قال الشاعر:

أَعَافُ دُنْيَا تُسَمَّى مِنْ دَنَاءَتِهَا «دُنْيـا» وإلاَّ فَمِـنْ مَكْرُوهِهَـا

---

(١) راجع: شرح الأربعين النووية لابن عثيمين، (ص١٦، ١٧).

(٢) انظر: «لسان العرب» (٢٧٣/١٤)، و«القاموس المحيط» (١٦٥٦/١)، و«العين» (٧٥/٨).

وحقيقتها: جميع المخلوقات الموجودة قبل الآخرة.

«**يصيبها**»: أي يحصِّلُها. وَعَبَّر بالإصابة للإشارة إلى تشبيه تحصيلها عند امتداد الأطماع إليها بإصابة الغرض بالسهم، بجامع سرعة الوصول بسبب شدة الاجتهاد.

«**امرأة**»: تقدم الحديث عنها عند شرح كلمة «امرئ».

«**ينكحها**»:

» **النكاح في اللغة**: يَرد بمعنى الوطء -وهو الأكثر- أو بمعنى العقد، أو مطلق الضم، وقيل هو مشترك لفظي بين العقد والوطء، وقيل هو حقيقة في أحدهما مجاز في الآخر[١].

» **والنكاح شرعًا**: عقدٌ يفيد بطريق الأصالة[٢] مِلْك استمتاع الرجل بالمرأة[٣] وحِلّ استمتاع المرأة بالرجل[٤].

» **وقوله** ﷺ: «**أو امرأة ينكحها**»، وفي رواية: «**أو إلى امرأة**» وفي رواية «**يتزوجها**»، **يجعلنا نتساءل**: ما الحكمة من أن النبي ﷺ نص على المرأة هنا مع كونها داخلة في مسمى الدنيا؟.. وفي

---

(١) انظر: «لسان العرب» (٦٢٥/٢)، و«المصباح المنير» (٦٢٤/٢).

(٢) فيخرج بذلك ملك استمتاع السيد بأمته، فإن ذلك تابع لملك رقبتها.

(٣) فالرجل يملك وحده حق الاستمتاع بالمرأة.

(٤) فالمرأة لا تملك وحدها حق الاستمتاع به؛ لأن له أن يشرك في ذلك امرأة أخرى بالتعدد.

الحديث «**الدنيا متاع، وخير متاع الدنيا المرأة الصالحة**»[١]

والجواب: أن هذا للتلويح بأنها سبب لورود الحديث، أو للتنبيه على شدة فتنة النساء، حتى كأنها قسم مستقل في مقابل الدنيا، وقد قال النبي ﷺ: «**ما تركت بعدي فتنة أضرَّ على الرجال من النساء**»[٢] فيكون ذكرها من قبيل ذكر الخاص بعد العام بطريق العطف.

» **فإن قال قائل: فما الحكمة من ذم الدنيا والزواج وهما مباحان؟**

فالجواب: الذم هنا متجه لمن خرج مهاجرًا، وظاهره أنه يطلب الآخرة بالهجرة في حين قصده الباطن طلب الدنيا والنكاح؛ فذمه لأجل استبطانه لخلاف ما أظهر.

«**فهجرته إلى ما هاجر إليه**»:

أي من الدنيا والمرأة ونحو ذلك من الأغراض.

» **وعدل عن ذكر الدنيا والمرأة مرة أخرى لأمور، منها**:

١- تحقير هذا الشيء الذي قُصِدَ من دون الله، سواءٌ كان هذا الشيء دنيا يصيبها أو امرأة ينكحها، وفي ذلك تحذير من الاشتغال بالدنيا وأمور النساء عما هو أوْلى.

٢- ثم الهجرة إلى الدنيا وأمورها لا تنحصر وأفرادها لا تنتهي، ومنها المحرم ومنها المباح؛ فقال ﷺ: «**فهجرته إلى ما هاجر**

---

(١) أخرجه مسلم (١٤٦٧) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.

(٢) أخرجه البخاري (٥٠٩٦)، ومسلم (٢٧٤٠) من حديث أسامة بن زيد رضي الله عنهما.

إليه».. كائنًا ما كان.

» **ونلاحظ هنا** أن النبي ﷺ أتى في عبارته بـ (إلى) التي تفيد الغاية بدلاً من (اللام) وذلك إشعارٌ منه ﷺ إلى أنه من كانت غايته من الهجرة الدنيا فليس له إلا ذاك.

قال تعالى: ﴿**مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْأَخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ ۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْأَخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ**﴾ [الشورى: ٢٠].

فوائد فقهية

١- الجهر بالنية عند الصلاة:

» **قال السيوطي في مبحث محل النية**: «محلُّها القلب في كل موضعٍ؛ لأنَّ حقيقتها القصد مطلقًا، وقيل: المقارن للفعل، وذلك عبارة عن فِعْل القلب»، ثم نقل عن البيضاوي قوله السابق في «معنى النية عند الفقهاء»، ثم قال السيوطي: «والحاصل أن هنا أصلين: الأول: أنه لا يكفي التلفُّظ باللسان دونه، والثاني: أنه لا يُشترط مع القلب التلفظ»[1].

أما الأول: فمن فروعه لو اختلف اللسان والقلب فالعبرة بما في القلب، ومن ذلك ما ورد في حديث الرجل الذي انفلتَتْ منه راحلتُه بأرضٍ فلاة وعليها طعامه وشرابه، فأَيِسَ منها، فأتى شجرةً فاضطجع في ظلِّها، فبَيْنا هو كذلك إِذْ هو بها قائمةً عنده، فأخذ بخطامها ثم قال من شدة الفرح: «**اللَّهُمَّ أنتَ عبدي وأنا ربك**»، وهذا ظاهره الكفر الصريح، لكنّ الرجل لم يقل ذلك عن اعتقادٍ وسوءِ طويَّة، وإنما أخطأ من شدة الفرح حيث

---

(١) «الأشباه والنظائر» (ص١١٢).

تيقَّن من الهلاك في الصحراء، ثم وَجَد راحلتَه وعاد إليه الأمل في النجاة، فزلَّ لسانه بما لم يعتقد قلبه، ولذلك قال النبي ﷺ معقِّبًا على ذلك: «**أخطأ من شدَّة الفرح**»(١).

قال السيوطي: «وأما الأصل الثاني وهو أنه لا يشترط مع نية القلب التلفُّظ، فيه فروع كثيرة: منها: كل العبادات. ومنها: إذا أحيا أرضًا بنية جَعْلِها مسجدًا فإنها تصير مسجدًا بمجرد النية، ولا يحتاج إلى لفظٍ»(٢).

ومن ذلك أيضًا: القيام للصلاة، فمجرد القيام يعني إرادة الصلاة، ولا يحتاج ذلك إلى نيةٍ.

» وزيادة التلفُّظ في موضعٍ لم يُطْلَب منك فيه بدعةٌ مُحْدَثة.

» وقد أجمعوا على المؤاخذة بأعمال القلوب دون التلفُّظ؛ كالحسد ونحوه، فلو كان التلفُّظ شرطًا في الأعمال لم يكن في المؤاخذة بأعمال القلوب إذا خَلَتْ عن تلفُّظٍ فائدة، وهذا باطلٌ مخالف لإجماع الأمة.

» وينبني على ذلك عدم مشروعية الجهر بالنية في الصلاة.

---

(١) الحديث عند البخاري (٦٣٠٩) مختصرًا، ومسلم (٢٧٤٧) واللفظ له، من حديث أنس بن مالكٍ رضي الله عنه.

(٢) «الأشباه والنظائر» (ص١١٧).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «وقد اتفق الأئمة على أنَّ الجهر بالنية وتكريرها ليس بمشروع، بل من اعتاد ذلك فإنه ينبغي له أن يُؤَدَّبَ تأديبًا يمنعه عن ذلك التعبُّد بالبدع وإيذاء الناس»[١].

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ: «الجهر بالنية في الصلاة من البدع السيئة ليس من البدع الحسنة، وهذا متفق عليه بين المسلمين، لم يقل أحدٌ منهم: إنَّ الجهر بالنية مستحبٌّ ولا هو بدعة حسنة، فمن قال ذلك فقد خالف سنة رسول الله ﷺ وإجماع الأئمة الأربعة وغيرهم، وقائل هذا يُستتاب فإن تاب وإلا عُوقب بما يستحقّه، وإنما تنازع الناس في نفس التلفُّظ بها سرًّا هل يُستحب أم لا؟ على قولين، والصواب أنه لا يستحب التلفظ بها، فإنَّ النبي ﷺ وأصحابه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ لم يكونوا يتلفظون بها لا سرًّا ولا جهرًا، والعبادات التي شرعها النبي ﷺ لأمته ليس لأحدٍ تغييرها ولا إحداث بدعة فيها، وليس لأحدٍ أن يقول: إن مثل هذا من البدع الحسنة»[٢].

٢- من نسي النية، أو فعل بعض العبادات بلا نية، أو اعتاد

---

(١) «مجموع الفتاوى» (٢٢/٢٣٤).

(٢) المرجع السابق (٢٢/٢٣٣).

بعض الأذكار أو الأقوال بلا نية:

فكأن شيئًا لم يكن؛ إذ الثواب والعقاب معلَّقٌ على النية والقصد، وهو ممنوع في الناسي ومن ذُكِرَ معه هنا.

ومثلُ ذلك إذا أَمَرَّ سكينًا على رقبةٍ مباحةٍ فذبحها ولم يقصد ذكاةً لم تُذَكَّ بذلك؛ لأنه لم يقصد ذبحًا وذكاة.

ومثل ذلك: ما يقع من المجنون والسكران ومن أَغْلَقَ عليه الغضبُ عقلَه فمنعه من الإرادة والقصد فلا عبرة بأفعالهم وأقوالهم؛ لخلوِّها عن القصد والنية.

وكذا يمين اللغو لا يقع بها حنث ولا يلزم عليها كفارة، وكذلك الاستثناء بإن شاء الله لا يقع به حنث، ولا يلزم في المخالفة كفارة بشرط أن يكون تعليقه على مشيئة الله بنية الاستثناء لا بنية التبرك.

٣- هل تكفي النية الحسنة مع وسيلةٍ محرَّمة؟

الجواب: الوسائل لها أحكام المقاصد، فالنية الحسنة لابد لها من وسيلة حسنة مباحة شرعًا، وقد سبق هذا المعنى في الكلام

على «النية عند الفقهاء».

ومثال ذلك: إذا نوى الحج مثلاً فلا يجوز له الحج بمالٍ مكتَسَبٍ من الربا؛ إذْ لا تُحِلُّ النية الصالحة والمقصد الصالح الربا المحرَّم، وهذا ظاهرٌ.

ولا تَسْقِنِي إلاَّ حـلالاً فَـإنَّنِي أَعَافُ مِنَ الأَشْيَاءِ ما لا يُحَلَّـلُ[١]

٤- تنعقد البيوع والإجارات ونحوها من المعاملات بكل ما دل على مقصودها من قول أو فعل محدد.

٥- لا يختص انعقاد النكاح بلفظي «الإنكاح والتزويج»، بل ينعقد بكل لفظ يدل على مقصوده.

٦- الخلع والطلاق والإيلاء والظهار لا يشترط لها ألفاظ معينة، بل تقع بأي لفظ يحتمل إذا قُرن بالقصد[٢].

---

(١) البيت من «الأغاني» للأصبهاني (٢٤٦/١٩) و(١٨٨/٢٣).

(٢) القواعد والضوابط الفقهية عند ابن تيمية في فقه الأسرة لمحمد بن عبد الله بن عابد (١٨٣/١، ١٨٤)، ط مكتبة دار البيان الحديثة الطائف، وقد عزاها لابن تيمية وذكرها كفروع لقاعدة: المقاصد معتبرة في التصرفات والعادات، والتي دل عليها حديث: «**إنما الأعمال بالنيات**».

٧- معلق الطلاق على شرط يُنظر الى مقصوده، فإن كان قصده الحلف بذلك وليس غرضه وقوع الطلاق عند وقوع الشرط، فهذا حالف وعليه كفارة يمين، وإن كان مقصوده وقوع الطلاق عند وقوع الشرط طلقت زوجته.

٨- قاعدة: مقاصد اللفظ على نية اللافظ، إلا في موضع واحد، وهو اليمين عند القاضي، فإنها على نية القاضي دون الحالف»[1].

(١) الأشباه والنظائر (ص١٣٩).

فوائد تربوية

١- الحديث أصل في تعظيم أمر إخلاص النية:

فإخلاص النية لله هو رأس الأمر وأساسه الذي يُبنى عليه، وهو العاصم -بحول الله وقوته- من الشيطان الرجيم، قال تعالى حاكيًا عن الشيطان أنه قال: ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ وفي قراءة ﴿مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ وفي قراءة سبعية ﴿ٱلْمُخْلِصِينَ﴾ [1] وفي قراءة سبعية ﴿ٱلْمُخْلِصِينَ﴾ [1] [الحجر: ٤٠].

والإخلاص سلامة للقلب من الأمراض: كالغل، والحسد، والجبن، كما أنه يورث القوة في الحق، والشجاعة، والصبر؛ لأنه يربط القلب بالله تعالى، فلا يخاف سواه، ولا يرجو إلا إياه، فيتمثل له كل الخلق كالأموات، لا يملكون من أمر أنفسهم شيئًا.

وقد قال النبي ﷺ: «**ثلاث لا يغلُّ عليهن صدرُ مسلم: إخلاص العمل لله ﷻ، ومناصحة أولي الأمر، ولزوم جماعة المسلمين، فإن دعوتهم تحيط مِن ورائهم**»[1].

---

(١) انظر: «البدور الزاهرة» (ص١٧٢).

(١) أخرجه أحمد (١٣٣٥٠)، والبيهقي في «الشعب» (٧٥١٤)، عن أنس بن مالك =

ووجه كون إخلاص النية أعظم وأشرف الأعمال ما قاله الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «والنية بمنـزلة الروح، والعمل بمنـزلة الجسد للأعضاء الذي إذا فارق الروح فموات، وكذلك العمل إذا لم تصحبه النية فحركةُ عابثٍ. فمعرفة أحكام القلوب أهم من معرفة أحكام الجوارح؛ إذ هي أصلها، وأحكام الجوارح متفرعة عليها»(١).

وفي بيان شرف أعمال القلوب قال سهل التستري: «ما خلق الله تعالى مكانًا أعز وأشرف عنده من قلب عبده المؤمن، وما أعطى كرامة للخلق أعز عنده من معرفته»(٢). فجعل الأعز في الأعز، فما نشأ من أعز الأمكنة يكون أعز مما نشأ من غيره.

٢- ومن بركات الإخلاص:

» أنه يتضاعف به فضل العمل، ويَعظُم به أجره، قال تعالى: ﴿**لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا**

=

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا.

(١) «بدائع الفوائد» (٣/٧٠٥).

(٢) انظر: «كشف الخفاء» للعجلوني (٢٨٣٦).

﴿عَظِيمًا﴾ [النساء: ١١٤].

وكالرجل الذي رآه النبيُّ ﷺ يتقلب في الجنة في شجرة قطعها من ظهر الطريق كانت تؤذي الناس[(١)].

وكما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**بينما كلب يُطيف بركيَّة كاد يقتله العطش، إذ رأته بغي من بغايا بني إسرائيل، فنزعت موقها، فسقته؛ فغُفر لها به**»[(٢)].

» وقد يُبلِّغ اللهُ العبدَ منازل المحسنين العاملين إذا رأى من عبده نيةً صادقة وإن لم يأت العبد بغير تلك النية. فهذا رسول الله ﷺ يقول لأصحابه: «**لقد تركتم بالمدينة أقوامًا ما سِرْتُم مسيرًا ولا أنفقتم من نفقة، ولا قطعتم من وادٍ إلا وهم معكم فيه**» قالوا: يا رسول الله، كيف يكونون معنا وهم بالمدينة؟ فقال: «**حبسهم العذر**»[(١)].

فما أحوج العاجزين عن اللحاق بإخوانهم المجاهدين المرابطين إلى هذه النية الصادقة التي قد يبلغون بها -مَنًّا من الله وكَرَمًا- منازل الجهاد والمرابطة على ثغور بلاد الإسلام.

---

(١) أخرجه أحمد (١٢٥٧١، ١٣٤١٠) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه مرفوعًا.

(٢) أخرجه البخاري (٣٣٢١، ٣٤٦٧) ومسلم (٢٢٤٥)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا.

(١) تقدم تخريجه (ص٧٧)، واللفظ هنا لأبي داود (٢٥٠٠).

وفي ذلك يقول النبي ﷺ: «**إن الله كتب الحسنات والسيئات ثم بين ذلك؛ فمن هم بحسنة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة، وإن هم بها فعملها كتبها الله عنده عشر حسنات إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة، وإن هم بسيئة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة، وإن هم بها فعملها كتبها الله سيئة واحدة**»[1].

قال الإمام ابن دقيق العيد مُعلقًا على هذا الحديث -وهو الحديث السابع والثلاثون من الأربعين النووية-: «فانظر يا أخي -وفقنا الله وإياك إلى عظيم لطف الله تعالى- وتأمل هذه الألفاظ. وقوله: «عنده» إشارة إلى الاعتناء بها، وقوله: «كاملة» للتأكيد وشدة الاعتناء بها، وقال في السيئة التي همَّ بها ثم تركها «كتبها الله عنده حسنة كاملة» فأكَّدها بـ «كاملة»، وإن عملها كتبها سيئة واحدة، فأكّد تقليلها بـ«واحدة» ولم يؤكِّدْها بـ«كاملة»؛ فللّه الحمد والمنة سبحانه، لا نحصي ثناء عليه»[1].

ويقول أيضًا ﷺ: «**إذا مرض العبد أو سافر كُتب له مثلُ ما كان يعمل مقيمًا صحيحًا**»[2]. قال الحافظ: «وهو في حق مَن كان

---

(١) سبق تخريجه.

(١) شرح الأربعين (ص٩٦).

(٢) سبق تخريجه.

يعمل طاعة فمُنع منها وكانت نيته لولا المانع أن يدوم عليها»[1].

» والإخلاص هو الأساس في قبول العبادات، ويرفع منزلة الإنسان في الدّنيا والآخرة، ويحرّر العبد من عبودية غير الله، ويقوي العلاقات الاجتماعية وينصر الله به الأمّة، ويفرج شدائد الإنسان في الدنيا، ويحقق الطمأنينة لقلب الإنسان ويجعله يشعر بالسّعادة، ويقوي إيمان الإنسان ويكرّه إليه الفسوق والعصيان، ويقوّي عزيمة الإنسان وإرادته في مواجهه الشّدائد، وبه حصول كمال الأمن والاهتداء في الدّنيا والآخرة.

٣- **خطورة الرياء**: ويكمُن خطره في كونه أمرًا خفيًّا سريعًا إلى القلب، قد يقع فيه الإنسان من حيث لا يشعر؛ فآثاره خطيرة، وعواقبه وخيمة.

» فمن ذلك: الفضيحة في الدنيا والآخرة، قال رسول الله ﷺ: «**من سَمَّع سمّع الله به، ومن يرائي يرائي الله به**»[1].

» كما أنه سبيل للحرمان من الهداية والتوفيق، وسبب لحصول الضيق، والاضطراب النفسي، وإصابة القلب بالآفات المهلكة كالعجب وحب الثناء والتشبُّع بما لم يُعط.

---

(١) فتح الباري، لابن حجر (٣٤٩/٧).

(١) أخرجه البخاري (٦٤٩٩، ٧١٥٢)، ومسلم (٢٩٨٧) من حديث جندب رضي الله عنه.

» والرياء ينـزع هيبة المرائي من قلوب الناس، ويسبب إعراضهم عنه، وعَدم تأثرهم بما يقول، فإن الكلام إذا خرج من القلب وقع في القلب، ورُبّ خطيب قومٍ يَصْرخ فيهم: ما لي أرى القلوب لا تخشع، والعيون لا تدمع! والحق أنهُم ما أُتُوا إلا من قِبَلِهِ!

وعن بعض السلف: «قيل لحمدون بن أحمد: ما بال كلام السلف أنفع من كلامنا! قال: لأنهم تكلَّموا لعزّ الإسلام، ونجاة النفوس، ورضا الرحمن، ونحن نتكلم لعز النفوس، وطَلب الدنيا، ورضا الخَلْق»[1].

» كما أن الرياء يؤدي إلى عدم إتقان العمل؛ لأن المرائي يعمل للخلق لا الخالق، فإذا غابوا عن شهوده قصَّر في عمله.

٤- وللإخلاص علامات كما للرياء علامات:

فمن علامات الإخلاص:

» الفاعليَّة والمبادرة الذاتية المنضبطة، وعدم انتظار التكليف من أحد، بعد التكليف من خالق الأرض والسماء ﷻ.

» إرادة وجه الله ﷻ.

» حب عمل السر والخلوة.

---

(١) صفة الصفوة (٤/١٢٢).

» اتهام النفس والخوف من عدم القبول.

» الإكثار من الأعمال وإتقانها مع عدم انتظار محمدة الخلق.

» عدم الضجر واليأس عند عدم حصول المقصود والمأمول.

وأما علامات الرياء فمنها:

» التخاذل والتكاسل عن أداء الواجبات.

» الحماس للتكليف الوظيفي أكثر من التكليف الشرعي.

» تحسين العمل ظاهرًا لا باطنًا.

» المبالغة في التعلّق بالأشخاص، وربط المرء استقامته بوجودهم واهتمامهم به.

» التشوق لإظهار الأعمال.. بل ربما التشوق لإظهار الإخلاص!

وكان أيوب رَحِمَهُ اللَّهُ يقول: «ليتقِ اللهَ رجلٌ، فإنْ زَهِدَ فلا يجعلَنَّ زهده عذابًا على الناس، فلأنْ يُخفي الرجل زهده خير من أن يعلنه»[1].

٥- أسباب ضعف الإخلاص:

» عدم المعرفة الحقيقية بالله وعظمته، واستحقاقه للعبادة،

---

(١) تذكرة الحفاظ (١/١٣٠).

وعدم تجريد القصد له.

» الرغبة في المنصب والصدارة، لا سيما بين الأقران والأتباع.

» الطمع فيما في أيدي الناس.

» حب المحمدة والثناء، والخوف من ذم الناس.

» العُجب بالنفس.

» الغفلة عن عواقب الرياء.

» اتباع الهوى.

٦- بعض أبواب الرياء وصوره:

أبواب الرياء وصوره كثيرة تكاد لا تنحصر، ومنها:

أ- أن لا يقصد الإخلاص مطلقًا، بل كُلُّ مراده غيْرُ الله، كأن يفعل الطاعة وليس له نية إلا أن يعرف الناس عنه أنه فعلها! فهذا نوع من النفاق والعياذ بالله.

ب- أن يكون قصد العبد ومراده لله تعالى فإذا اطلَّع عليه الناس نشط في العبادة وزينها، كمن يطول الصلاة عند اطلاع الناس عليه.

ج- أن يدخل العبد في العبادة لله، ويخرج منها لله، فيعرف بذلك ويُمدَح، فيسكن قلبه إلى ذلك المدح، فإذا عرف بذلك ومدح سكن قلبه وارتاح.

د- أن يظهر الصفار والنحول؛ ليُرِيَ الناس بذلك أنه صاحب عبادة!.

هـ- أن يلبس ثيابًا مرقعة؛ ليقول الناس إنه زاهد، أو يلبس لباس العلماء ليظنَّه الناس عالمًا!.

و- الرياء بالقول: وهو فى الغالب رياء من ينتسب للتدين بالوعظ والتذكير، وحفظ الأخبار والآثار؛ لأجل المحاورة وإظهار غزارة العلم.

ز- الرياء بالأصحاب والزائرين، كالذي يتكلف دعوة العلماء؛ ليقال فلان يزوره العلماء.

ح- الرياء بذم النفس بين الناس، وذلك لأن يُرِيَ الناسَ أنه متواضع عند نفسه، فيرتفع بذلك عندهم.

ط- ومن دقائق الرياء وخفاياه: أن يخفي العامل طاعته بحيث لا يريد أن يطّلع عليها أحدٌ، ولا يُسرَّ بظهور طاعته، ولكنه مع ذلك إذا رأى الناس أحب أن يبدأوه بالسلام، وأن يقابلوه بالبشاشة ويثنوا عليه، وأن ينشطوا في قضاء حوائجه، فإن لم يجد ذلك وجد ألمًا في نفسه، كأنه يتقاضى الاحترامَ على الطاعة التي أخفاها.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «حُكِيَ أن أبا حامد الغزالي

بلغه أن من أخلص لله أربعين يومًا تفجرت الحكمة من قلبه على لسانه. قال: فأخلصت أربعين يومًا، فلم يتفجر شيء، فذكرت ذلك لبعض العارفين فقال لي: إنك أخلصت للحكمة ولم تخلص لله»[1].

٧- علاج الرياء وضعف الإخلاص:

» معرفة الله ﷻ حق المعرفة، واستشعار منته وفضله وتوفيقه.

» تعميق مراقبة الله تعالى ومحاسبة النفس.

» التوقف عند نوايا الأعمال، ودفع ما يخطر من موارد الشيطان ووساوسه في الحال.

» ترك المبالاة بالخلق ومعرفة حقيقتهم، وقطع الطمع فيما لديهم.

» تذكر عواقب الرياء الدنيوية والأخروية.

» اللجوء التام إلى الله، والتضرُّع إليه، ومراقبته.

» الاستعاذة من الرياء، وفي الحديث القدسي يقول ﷻ - فيمن يتقرَّب إليه-: «**ولئن استعاذني لأُعيذنَّهُ**»[1].

---

(١) انظر: «درء تعارض العقل والنقل» لابن تيمية (٦٦/٦)، و«مختصر منهاج القاصدين» (ص٢١٤-٢٢١)، و«الإخلاص» للعوايشة (ص٢٤)، و«الإخلاص والشرك الأصغر» للدكتور عبد العزيز بن عبد اللطيف (ص٩).

(١) أخرجه البخاري (٦٥٠٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

٨- الدعاة إلى الله هم من أحوج الناس إلى إخلاص النية لله

لا سيما وأن تعسُّر الدعوة وتراجعها وتغلب قوى الباطل يدعونا -بإلحاح- إلى مراجعة مسائل الإخلاص، فقد شيدَّ النبي ﷺ أمة بكل عناصرها في بضع سنين، في حين أن هناك دعوات لم تتقدَّم خطوة حقيقية منذ سنين.. نعم، صحيح أن على المرء أن يعلم أن الطريق طويل وأن النصر والتمكين بيد الله، ولكن في نفس الوقت من الذي قال إن هذه الدعوات وهذه المناهج والأعمال والمشاريع الدعوية، معصومة لا يتسرب إليها الرياء، ولا يتطرق إليها الخلل الذي يؤدي لعدم التمكين.

كما أن أعمال الدعاة أعمال أخروية تفتقر إلى النية والإخلاص في كل جزئياتها، وهم من أفقر الناس إلى ربهم وأحوجهم إلى عونه وتوفيقه؛ فأعداؤهم كُثر، ولا ناصر لهم إلا الله، ولا ينجو إلا من أعانه الله ووفقه بالإخلاص.

أضفْ إلى ذلك أن الجهود المبذولة لخدمة الدين هي أقل بكثير جدًا من الجهود المطلوبة؛ مما يجعل إخلاص تلك الجهود لله والإمعان في هذا الإخلاص ضرورة مُلِحَّة حتى يبارك الله فيها فتؤتي ثمارها أضعافًا مضاعفة عسى ذلك أن يَسُدَّ العجز الهائل الواقع في الساحة.

وفي المقابل كم تكون الفاجعة على الأمة وعلى العاملين في حقل خدمة الإسلام، إذا هم لم يخلصوا النية لله فتحبط بذلك جهود، وتُبدَّد طاقات تَمَسُّ الحاجةُ إليها، ويطول الطريق، وتكثر التكاليف؛ فإن الله لا يمكِّن لقوم حتى يُمحص الصفوف، وهو سبحانه غني عن نصر قوم لا يريدونه سبحانه بأعمالهم.. جل ربُنا وتعالى.

قال الله تعالى في الحديث القدسي: «**أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري تركته وشركه**»(١).

وقال الربيع بن خثيم: «كل ما لا يبتغى به وجه الله ﷻ يضمحل»(٢).

٩- **الحديث الشريف تذكير لكل الدعاة أن تكون دعوتهم لله.. ولله فقط،** لا لراية حزبيّة، ولا لشخصيات دعوية أو علمية.. وإن كان هناك اتفاق بين الدعاة اليوم على هذا الأصل من الناحية النظرية إلا أنك -للأسف الشديد- تجد خَرقًا له على الصعيد العملي عند بعضهم.

نلحظ هذا الخرَق في تحوّل العمل لخدمة الدين -أحيانًا- إلى العمل لخدمة أشخاص أو تجمعات بعينها.. ولماذا -في بعض المواقف- يتم تقديم مصلحة حزبية على مصلحة الإسلام

(١) أخرجه مسلم (٢٩٨٥)، من حديث أبي هريرة ﷺ.
(٢) سير أعلام النبلاء (٤/٢٥٩).

والمسلمين؟! وهل من الإخلاص أن يصير الانتماء لهذا الاتجاه أو ذاك أصلاً يُوالى ويُعادى عليه؟!.

١٠- **في الحديث إشارة إلى عظيم خطر حب الدنيا على النيات.** وخاصة فتنة الجاه وطلب الرياسة، قال رسول الله ﷺ: «**ما ذئبان جائعان أُرسلا في غنم بأفسدَ لها من حرص المرء على المال، والشرف، لدينه**»(١).

وعن يوسف بن أسباط: سمعت سفيان يقول: «ما رأيت الزهد في شيء أقل منه في الرياسة، ترى الرجل يزهد في المطعم والمشرب والمال والثياب، فإن نوزع الرئاسة حامى عليها وعادى».

وكذلك فتنة النساء سواءً كانت متمثلة في النساء الأجنبيات، أو في الزوجة التي قد تَفُتُّ من عضد زوجها وَمَضائه في طريق الدعوة، قال رسول الله ﷺ: «**ما تركت بعدي فتنة أضر على الرجال من النساء**»(١).

وعن علي بن زيد عن سعيد بن المسيب قال: «ما يئس الشيطان من شيء إلا أتاه من قِبَلِ النساء»، وعنه: قال لنا سعيد-

---

(١) أخرجه أحمد (١٥٧٨٤، ١٥٧٩٤)، والدارمي (٢٧٣٠) والترمذي (٢٣٧٦) من حديث كعب بن مالك رضي الله عنه وقال الترمذي: «هذا حديث حسن صحيح»، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٥٦٢٠).

(١) سبق تخريجه.

وهو ابن أربع وثمانين سنة وقد ذهبتْ إحدى عينيه وهو يعشو بالأخرى-: «ما من شيء أخوف عندي من النساء»!!.

١١- ومن أمارات الإخلاص ومظاهره في مسيرة الدعوات، انطلاق الدعوة وأعمالها من الرحمة والشفقة على الخلق، مع الفرح بكل كفاءة تتقدم لنصرة دين الله، ودعمها وتأييدها وتوليها، وطلب الحق وتعظيم أهله من كانوا وحيث كانوا، والتحلي بالورع والتثبت عند الحكم على الرجال والطوائف[1].

١٢- تنبيهات حول قضية الإخلاص:

التنبيه الأول:

لا ينبغي أن يوقعنا الحديث عن صعوبة الإخلاص في ترك العمل خوفَ الرياء، فإن ذلك مزلق شيطاني خطير، والواجب هو العمل مع استمرار محاسبة النفس.. وعلى الله قصد السبيل.

التنبيه الثاني:

إن كان الرياء فيه مساس بحق الألوهية، فإن من المساس بجناب الربوبية التجرؤ على الحكم برياء أحد من الناس بدون قرينة قاطعة عندنا فيها من الله برهان! ولله درّ الصاحب الجليل عبد الله بن عمر رضي الله عنه، فقد كان له رقيق، فربما شاهد أحدهم قد

(١) راجع - إن شئت – رسالة: «معالم في أصول الدعوة» للمؤلف (ص٢٤-٢٧).

لزم المسجد فإذا رآه ابن عمر على تلك الحالة الحسنة أعتقه، فيقول أصحابه: يا أبا عبد الله، والله ما بهم إلا أن يخدعوك. فيقول ﷺ: «من خدعنا بالله انخدعنا له»!! وهكذا فليكن فقه الأدب مع الرب جل وعلا، لا أن يُنَصِّبَ المرء نفسه حاكمًا على نيات الخلق: هذا أخلص وهذا لم يخلص.. نسأل الله السلامة من آفات القلوب.

التنبيه الثالث:

في إطار الحرص على بيان أن المستقبل والتمكين لهذا الدين.. والحرص على غرس الثقة بالنصر في نفوس المستضعفين من أبناء الدعوة المباركة يجب أن لا يوقع هذا الحرص في آفة منهجية خطيرة، وهي: ربط قلوب هؤلاء المستضعفين بشيء من الدنيا ينالونه في مستقبل الأيام؛ بل يجب أن لا ترتبط النفوس إلا بالله والدار الآخرة.. والنبي ﷺ -أكبر قائد تربوي في تاريخ البشر- كان يدرك هذا جيدًا عليه صلوات الله وسلامه، وقد ربط الأعمال بالآخرة وحدها في كثيرٍ من المناسبات والأحاديث، فقال: «**من جَهَّزَ جيشَ العُسْرَةِ فله الجنة**»[1]، وقال: «**من يضمن لي ما بين لحيَيْه وما بين رجليه أضمن له الجنة**»[2]، وقال يوم أُحُدٍ: «**من يَرُدُّهُم عنَّا وله**

(١) أخرجه البخاري معلقًا مجزومًا (٢٧٧٨)، ووصله الدارقطني في «السنن» (١٩٩/٤).
(٢) أخرجه البخاري (٦٤٧٤، ٦٨٠٧)، من حديث سهل بن سعد ﷺ.

الجنة»[١]، وقال:«**من بنى مسجدًا لله، بنى الله له في الجنة مثله**»[٢].

ولذا تعلَّقَتْ قلوب المؤمنين بالآخرة، ودارت أسئلة الصحابة حول ما يضمن لهم الجنة والفلاح في الآخرة، وقد ورد ذلك صريحًا في أسئلة كثيرٍ منهم؛ ومن ذلك:

» حديث وفد عبد القيس وفيه: «فمُرْنا بأمرٍ فَصْلٍ نُخْبر به مَن وَرَاءَنا، وندخل به الجنة»[٣].

» وحديث الرجل الذي سأل النبي ﷺ: «أخبرني بعملٍ يُدْخلني الجنة»[٤].

» وحديث الأعرابي الذي قال للنبي ﷺ: «دلَّني على عملٍ إذا عملْتُه دخلتُ الجنة»[١].

التنبيه الرابع:

وهنا كلمة أخيرة يُهمس بها في آذان الدعاة المتصدرين لدعوة جماهير المسلمين.. وهي أن تلك الجماهير قد تمثل فتنة كفتنة

---

(١) أخرجه مسلم (١٧٨٩) من حديث أنس رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (٤٥٠)، ومسلم (٥٣٣) من حديث عثمان بن عفان رضي الله عنه.

(٣) أخرجه البخاري (٥٣) وفي مواضع عديدة، ومسلم (١٧) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(٤) أخرجه البخاري (١٣٩٦)، ومسلم (١٣) من حديث أبي أيوب رضي الله عنه.

(١) أخرجه البخاري (١٣٩٧)، ومسلم (١٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

السلاطين، أو أشد! ولا يجوز -بحال من الأحوال- أن يكون هَمُّ الداعية هو تقديم ما يطلبه مستمعوه.. بل مقتضى الإخلاص أن يكون همّه هو إسماعهم ما يحتاجون، وقول ما يجب أن يقال.

إن الدعاة المخلصين لا يتكلمون إلا بما يظنون أنه الحق.. وافق أهواء الناس أو خالفها، لا يخافون في الله لومة لائم، لا سلطان عندهم إلا سلطان الشرع، ولا صلة يحرصون على تدعيمها إلا صلتهم بالله تعالى ومن والاه، وهذه حقيقة (لا إله إلا الله)، وهذا هو الإخلاص الذي فيه الخلاص للأمة مما تلقاه، ﴿**إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ**﴾ [الرعد:١٣].

١٣- اعتبار النوايا والسوابق في الحكم على الأشخاص:

وأعظم مثال على ذلك طريقته ﷺ في معاملة حاطب بن أبي بلتعة حين أخبر المشركين بمسيره ﷺ إليهم؛ حيث لم يحكم ﷺ بنفاقه بل سأله أولاً: «**ما حملك على ما صنعت؟**»[(١)]... وقد يكون الرجل له في الإسلام آثار حسنة جليلة تصدر منه الكلمة

(١) أخرجه البخاري (٣٩٨٣)، وفي مواضع أخر من حديث علي رضي الله عنه.

المستغربة فيسيء به المتسرعون الظن ويقعون فيه أشد وقيعة كما نرى في واقعنا، ومقتضى الهدي النبوي أن نجتهد أولاً في معرفة مقصده ودوافعه، وأن نسعى في حمل مقالته على خير محمل ما أمكن ذلك.

وفي المقابل قد يقول بعض الماكرين المحاربين للإسلام وأهله كلمة يغتر بها البسطاء أو أولئك الذين يحسنون الظن ويلتمسون العذر لأعدائهم ويسيئون الظن بإخوانهم، والواجب محاولة الوقوف على دافع ذلك الماكر لكلمته التي قالها فربما كان وراءها الخداع للمؤمنين والمكر بهم.

١٤- الأفضل في حق كل إنسان أن يسكن الأرض التي يكون فيها أطوع لله:

أفضل الأرض في حق كل إنسان أرض يكون فيها أطوع لله ورسوله وهذا يختلف باختلاف الأحوال، ولا تتعين أرض يكون مقام الإنسان فيها أفضل[(١)]، إنما يكون الأفضل في حق كل إنسان بحسب التقوى والخشوع والخضوع والحضور، وقد كتب أبو الدرداء إلى سلمان: هلم إلى الأرض المقدسة، فكتب إليه سلمان: إن الأرض لا تقدس أحدًا وإنما يقدس العبدَ عَمَلُه[(٢)].

(١) أي وإن كانت في ذاتها أفضل من غيرها.
(٢) الموطأ (١٥٠٠).

١٥- من أقوال العلماء في الإخلاص:

» قال مكحول: «ما أخلص عبد قط أربعين يومًا إلا ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه ولسانه»[١].

» قال أبو سليمان الداراني: «إذا أخلص العبد انقطعت عنه كثرة الوساوس والرّياء»[٢].

» قال الجنيد رَحِمَهُ اللَّهُ: «الإخلاص سر بين الله وبين العبد، لا يعلمه ملك فيكتبه ولا شيطان فيفسده ولا هوى فيميله»[٣].

وقال: «من لزم طريق المعاملة على الإخلاص أراحه الله عن الدعاوى الكاذبة»[٤].

» وقال يوسف بن الحسين: «أعز شيء في الدنيا الإخلاص، وكم أجتهدُ في إسقاط الرّياء عن قلبي فكأنّه ينبت على لون آخر»[١].

» وقال صالح بن مهران: «كل عمل يعمل لغير الله فهو ذنب على عامله، والإخلاص اليقين»[٢].

---

(١) مدارج السالكين (٢/٩٦).
(٢) مدارج السالكين (٢/٩٢).
(٣) مدارج السالكين (٢/٩٥).
(٤) حلية الأولياء (١٠/٣٨٢).
(١) مدارج السالكين (٢/٩٢).
(٢) حلية الأولياء (١٠/ ٣٩١).

» وقال أبو محمد المرتعش: «أفضل الأرزاق تصحيح العبودية على المشاهدة ومعانقة الخدمة على موافقة السنة، ولا وصول إلى محبة الله إلا ببغض ما أبغضه الله وهي فضول الدنيا وأماني النفس، وموالاة أوليائه ومعاداة أعدائه، ولا سبيل إلى تصحيح المعاملة إلا بالإخلاص فيها والصبر عليه»[١].

»وقال جعفر الخلدي: «الفرق بين الرياء والإخلاص أن المرائي يعمل ليرى، والمخلص يعمل ليصل»[٢].

» قال أبو الحسن البوسنجي: «أول الإيمان منوط بآخره ألا ترى أن عقد الإيمان لا إله إلا الله، والإسلام منوط بأداء الشريعة بالإخلاص»[٣].

» وقال سهل بن عبد الله التُسْتري: «الدنيا كلها جهل إلا العلم فيها، والعلم كله وبال إلا العمل به، والعمل كله هباء منثور إلا الإخلاص فيه، والإخلاص فيه أنت منه على وجل حتى تعلم هل قُبل أم لا».[١].

» وقال أبو عبد الله محمد بن أحمد بن سالم البصري: «تزال

(١) حلية الأولياء (١٠/ ٣٥٥).
(٢) حلية الأولياء (٣٨١/١٠).
(٣) حلية الأولياء (١٠/ ٣٧٩).
(١) حلية الأولياء (١٠/ ١٩٤).

عن القلب ظُلَم الرياء بالإخلاص، وظلم الكذب بنور الصدق، ومن صبر على مخالفة نفسه أوصله الله إلى مقام أنسه»[١].

» وقال ابن القيّم رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى: «العمل بغير إخلاص ولا اقتداء كالمسافر يملأ جرابه رملًا ينقله ولا ينفعه»[٢].

١٦- من أقوال العلماء في الرياء:

» عن شداد بن أوس أنه قال لما حضرته الوفاة: «إن أخوف ما أخاف عليكم الرياء والشهوة الخفية»[٣].

» وعن عمرو بن قيس قال: «ثلاث من رؤوس التواضع: أن تبدأ بالسلام على من لقيت، وأن ترضى بالمجلس الدون من الشرف، وأن لا تحب الرياء والسمعة والمدحة في عمل الله». [١].

» وعن عبدة بن أبي لبابة قال: «إن أقرب الناس من الرياء آمنهم له»[٢].

» وعن سفيان الثوري قال: «إياك وما يفسد عليك عملك فإنما

---

(١) حلية الأولياء (١٠ /٣٧٨).
(٢) الفوائد (٦٧).
(٣) حلية الأولياء (٢٦٨/١).
(١) حلية الأولياء (١٠١/٥).
(٢) حلية الأولياء (١١٣/٦).

يفسد عليك عملك الرياء؛ فإن لم يكن رياء فإعجابك بنفسك»[١].

وقال: «بلغني أن العبد يعمل العمل سرًّا فلا يزال به الشيطان حتى يغلبه فيكتب في العلانية، ثم لا يزال الشيطان به حتى يحب أن يحمد عليه؛ فينسخ من العلانية فيثبت في الرياء»[٢].

وقال: «عليك بالصدق في المواطن كلها، وإياك والكذب والخيانة ومجالسة أصحابها فإنها وزر كله، وإياك يا أخي والرياء في القول والعمل فإنه شرك بعينه»[٣].

وقال الفضيل بن عياض: «ترك العمل من أجل الناس هو الرياء، والعمل من أجل الناس هو الشرك»[٤].

وقال: «من استوحش من الوحدة واستأنس بالناس لم يسلم من الرياء»[١].

وقال ابن القيم رحمه الله: «وقد جرت عادة الله التي لا تُبدَّل وسنته التي لا تُحوَّل أن يُلبس المخلص من المهابة والنور والمحبة في قلوب الخلق وإقبال قلوبهم إليه ما هو بحسب إخلاصه ونيته

(١) حلية الأولياء (٣٩١/٦).
(٢) حلية الأولياء(٣٠/٧).
(٣) حلية الأولياء (٨٢/٧).
(٤) حلية الأولياء (٩٥/٨).
(١) حلية الأولياء (١٠٩/٨).

ومعاملته لربه، ويلبس المرائي اللابس ثوبي الزور من المقت والمهانة والبغضة ما هو اللائق به؛ فالمخلص له المهابة والمحبة وللآخر المقت والبغضاء»[١].

١٧- ومما جاء من الأشعار في الإخلاص:

قول الشاعر:

وشَمرْ فقَدْ أَبدَى لكَ الموتُ وَجْهَـهُ ... وليسَ يَنالُ الفوزَ إلاَّ المُشَمرُ
فهذِي الليَالي مُؤْذناتُكَ بـالبِلَى ... تروحُ وأيامٌ كـذلكَ تبكـرُ
وأخلص لدينِ اللهِ صدراً ونيةً ... فإن الذي تخفيهِ يومًا سـيظهرُ
و قد يسترُ الإنسانُ باللفظِ فعلـهُ ... فيظهرُ عنهُ الطرفُ ما كان يسترُ

وقال أبو الفتح البستي:

كُلُّ الذُّنـوبِ فـإنَّ الله يغفِرهـا ... إن شَيَّعَ المَرءَ إخلاصٌ وإيمـانُ
وكُلُّ كَسْرٍ فـإنَّ الله يَجـبُرُهُ ... وما لِكَسرِ قَناةِ الدِّينِ جُبْرانُ

وقال ابن عبد القوي المرداوي:

وبادر إلى محو الذنوب بـركعتي ... متـاب كمـا قـد جـاء وادع

---

(١) إعلام الموقعين (٤/٢٠٠).

وإنّ عماد الدين إخلاص نيّة تسـدّد
وإلا تولّى بالعنا صافر اليد

وقال البهاء زهير:

أخلِصْ لرَبّكَ فيما كانَ من عَمَلٍ وَلْيَتّفِقْ منكَ إسرارٌ وَإعلانُ
فكُلُّ فِكرٍ لغَيرِ الله وَسوَسَةٌ وكلُّ ذِكْرٍ لغَيرِ الله نِسيانُ

وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَرِضَى رَسُولِ الله مِنَّا لاَ غُلُوَّ الشِّركِ أصلَ عِبَادَةِ الأوثانِ
وَاللهِ لَو يَرضَى الرَّسُول دُعاءَنَا إيَّاهُ بَادَرنَا إلَى الإذعانِ
وَاللهِ لَو يَرضَى الرَّسُولُ سُجودَنَا كُنَّا نَخِرُّ لَهُ عَلَى الأذقَانِ
وَاللهِ مَا يُرضِيهِ مِنَّا غَيرَ إخـ ـلاَصٍ وَتَحكِيمٍ لِذَا القُرآنِ

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَحَقِيقَةُ الإخلاَصِ تَوحِيدُ المُرَا دِ فَلاَ يُزَاحِمُهُ مُرَادٌ ثَانِ
لَكِن مُرَادُ العَبدِ يَبقَى وَاحِداً مَا فِيهِ تَفرِيقٌ لَدَى الإنسَانِ
إن كَانَ رَبُّكَ وَاحِداً سُبحَانَهُ فَاخصُصهُ بِالتَّوحِيدِ مَع إحسَانِ
أو كَانَ رَبُّكَ وَاحِداً أنشَاكَ لَم يَشرَكهُ إذ أنشَاكَ رَبٌّ ثَانِ

فَكَذَاكَ أيضاً وَحدَهُ فَاعبُدهُ لاَ تَعبُد سِوَاهُ يَا أخَا العِرفَانِ

وقال أبو بكر العيدروسي:

يا أهيل العزائم الصادقات الزموا الباب واسكبوا العبرات
صححوا القصد إن أصل الثبات صدق الإخلاص مع حسن النيات

وقال أبو مسلم العماني:

وراقب وصايا اللهِ سراً وجهرة ففي كل نفس غفلة وفتور
وجرد على الإخلاص جدك في التقى ففوقك بالشرك الخفي خبير

وقال الأمير الصنعاني:

إذا لم يكن لله فعلك خالصاً فكل بناءٍ قد بنيت خراب
فللعمل الإخلاص شرط إذا أتى وقد وافقته سنة وكتاب

١٨- من طُرق تربية النفس على الإخلاص:

١- التفكر في عظمة الله.

٢- معرفة أسمائه الحسنى وصفاته العلا.

٣- إهمال رؤية الناس وعدم التأثر بمدحهم أو ذمهم أبدًا فإن الاهتمام برؤية الناس في العبادة طريق سوء.

٤- كسر كل حظ للنفس في العمل.

٥- قطع الطمع عن الدنيا.

٦- تجديد النية دائمًا.

٧- قلة الحديث عن الأعمال والإنجازات الشخصية[١].

٨- من قصص الإخلاص:

» عن محمد بن زياد قال: رأيت أبا أمامة رضي الله عنه أتى على رجل في المسجد وهو ساجد يبكي في سجوده ويدعو ربه فقال أبو أمامة: «أنت! أنت! لو كان هذا في بيتك!»[٢].

» وعندما قال سعيد بن جبير لجلسائه: «أيكم رأى الكوكب الذي انقض البارحة؟» قال أبو حصين: «أنا» ثم قلت: «أما إني لم أكن في صلاة، ولكني لُدِغْتُ» قال: «فماذا صنعت» قال: «استرقيتُ...» [١] إلخ.

والشاهد قول أبي حصين: «أما اني لم أكن في صلاة ولكني لدغت». قال النووي: «أراد أن ينفي عن نفسه اتهام العبادة

---

(١) لذة العبادة، لخالد السيد روشه، ص٥٢٢. ط دار الصفا والمروة.

(٢) تهذيب الكمال (١٦٢/١٣).

(١) أخرجه مسلم (٢٢٠) مطولًا من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

والسهر في الصلاة مع أنه لم يكن فيها»[١].

» وكان أيوب السختياني في مجلس، فجاءته عَبرة، فجعل يمتخط ويقول: «ما أشد الزكام»![٢].

» وكان أبو الحسن محمد بن أسلم الكندي يدخل بيتًا، فيقرأ ويبكي، فيسمعه الصبي، فيفعل مثله، وكان إذا أراد أن يخرج غسل وجهه واكتحل؛ فلا يُرى عليه أثر البكاء.

وكان يصل قومًا، ويكسوهم، ويقول للرسول: انظر أن لا يعلموا مَن بعثه[٣].

» عن أبي حمزة الثمالي قال: «كان علي بن الحسين يحمل جراب الخبز على ظهره بالليل فيتصدق به ويقول: إن صدقة السر تطفئ غضب الرب عز وجل»[١].

» وقال عبد الله بن المبارك عن مبارك بن فضالة عن الحسن قال: «إن كان الرجل لقد جمع القرآن وما يشعر به الناس، وإن كان الرجل لقد فقه الفقه وما يشعر به الناس، وإن كان الرجل ليصلي الصلاة الطويلة في بيته وعنده الزور وما يشعرون به. ولقد أدركت

---

(١) شرح النووي على مسلم (٩٣/٣).
(٢) حلية الأولياء (٢٠/٦).
(٣) سير أعلام النبلاء (٢٠١/١٢).
(١) صفة الصفوة (٩٦/٢).

أقوامًا ما كان على الأرض من عمل يقدرون أن يعملوه في السر فيكون علانية أبدًا. لقد كان المسلمون يجتهدون في الدعاء وما يسمع لهم صوت، إن كان إلا همسًا بينهم وبين ربهم. وذلك أن الله تعالى يقول: ﴿ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾ [الأعراف: ٥٥]»[1].

﴿تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾ [الأعراف: ٥٥]»[1].

» وروي عن عبدة بن سليمان أنه قال: «كنا في سرية مع عبد الله بن المبارك في بلاد الروم، فصادفنا العدو، فلما التقى الصفان، خرج رجل من العدو، فدعا إلى البِراز، فخرج إليه رجل فقتله، ثم آخر فقتله، ثم آخر فقتله، ثم دعا إلى البِراز، فخرج إليه رجل، فطارده ساعة فطعنه فقتله، فازدحم إليه الناس، وكنت فيمن ازدحم عليه، فإذا هو يلثم وجهه بكمه، فأخذت بطرف كمه فمددته، فإذا هو عبد الله ابن المبارك، فقال: وأنت يا أبا عمرو ممن يشنع علينا؟!»[1].

» وقال أبو الوفاء ابن عقيل: «شاهدت شيخنا أبا إسحاق (الشيرازي) لا يخرج شيئًا إلى فقير إلا أحضر النية، ولا يتكلم في المسألة إلا قدم الاستعانة بالله وإخلاص القصد في نصرة الحق دون

---

(١) الزهد لابن المبارك (ص٤٥).

(١) صفة الصفوة (١٤٤/٤)، سير أعلام النبلاء (٣٩٤/٨).

التحسن للخلق، ولا صنف مسألة إلا بعد أن صلى ركعات؛ فلا جرم شاع اسمه وانتشرت تصانيفه شرقًا وغربًا؛ هذه بركات الإخلاص»[١].

» وهذا منصور بن المعتمر قد صام أربعين سنة، وقام ليلها، وكان يبكي، فتقول له أمه يا بني: «قتلت قتيلًا؟» فيقول: «أنا أعلم بما صنعت بنفسي، فإذا كان الصبح، كحل عينيه، ودهن رأسه، وبرق شفتيه وخرج إلى الناس»[٢].

» وهذا الإمام الماوردي، قيل: إنه لم يظهر شيئًا من تصانيفه في حياته، وجمعها في موضع، فلما دنت وفاته، قال لمن يثق به: «الكتب التي في المكان الفلاني كلها تصنيفي، وإنما لم أظهرها لأني لم أجد نية خالصة، فإذا عاينت الموت، ووقعت في النزع، فاجعل يدك في يدي، فإن قبضت عليها وعصرتها، فاعلم أنه لم يقبل مني شيء منها، فاعمد إلى الكتب، وألقها في دجلة، وإن بسطت يدي، فاعلم أنها قبلت».

قال الرجل: «فلما احتضر، وضعت يدي في يده، فبسطها؛ فأظهرت كتبه»[١].

---

(١) صفة الصفوة (٦٧/٤)

(٢) سير أعلام النبلاء (٤٠٦/٥).

(١) سير أعلام النبلاء (٦٦/١٨).

الفَهرس

مقدمة ٥
الحديث ٧
طرق الحديث وألفاظه ٨
صاحبي الحديث ١١
أهمية الحديث ومنزلته ٢٥
سبب الحديث ٣٣
شرح المفردات ٣٥
الشرح الإجمالي ٣٦
الشرح التفصيلي ٣٨
فوائد فقهية ٩٣
فوائد تربوية ٩٩
الفهرس ١٢٨

تم بحمد الله